مركز أبحاث أم المعارك



وسائل الإعلام والحرب ضد العراق

ترجمة عن الفرنسية

مؤيد مهدي إبراهيم وآخرون

منشورات



الطليعـة

1995

مركز ابحاث أم المعارك



وسائل الاعلام والحرب ضد العراق

ترجمه عن الفرنسية

مؤيد مهدي ابراهيم

محمد علي جواد — ياسر ياسين

ايمان علي — شذى صبيح

منشورات وزارة الثقافة والاعلام
بغداد ١٩٩٤

مقدمـــة

يهدف مركز ابحاث ام المعارك الى نشر البحوث والمؤلفات العربية والاجنبية التي تكشف طبيعة واهداف العدوان العسكري الذي شنته دول التحالف علـى العراق في مطلـع عام ١٩٩١ والحصار الشامل المفروض على قطرنا منذ آب ١٩٩٠ . كما يعمل المركز على توثيق كل ما يتعلق بالعدوان والحصار في أم المعارك ، وما صدر ويصدر مـن كتب ودراسات حولها .

ويأخذ الجانب المتعلق بوسائل الاعلام حيزا مهما من احـداث ووثائق ام المعارك ، ذلـك ان الاساليب التي اتبعتها وسائل الاعـلام الغربية والامريكية لتبرير الحصار والعدوان تمثل في واقعها حشدا خطيرا لا يقل اهمية عن الحشد العسكري العدواني ، بل ان الانفاق على وسائل الاعلام قد تجاوز كثيرا حدوده المعروفة ان لم يكن موازيا للانفاق العسكري نفسه في العدوان على العراق .

وقد استرعى هذا الامر انتباه العديد من الاعلاميين والباحثين الموضوعيين والمنصفين مـن الذيـن لا يرتضون ان يصبـح الاعـلام الجماهيري وسيلة للتضليل والخديعة واخفاء الحقائق لتحقيق اهداف عدوانية شريرة تطمع بخيرات الشعوب وثرواتها . فنشروا العديد من الكتب والبحوث لكشف حقيقة العدوان الثلاثيني على العراق ، ومنها تقارير ندوة (وسائل الاعلام وحرب الخليج) التي عقدت في باريس يوم ١٦ نيسان ١٩٩١ والتي ناقشتها واغنتها بافكارها وارائها حوالـــي

٢٠٠ شخصية اضافة الى طلبة جامعة باريس التي استضافت الندوة في مدرسة الهندسة المعمارية التابعة لها ، وذلك في اطار الاسبوع الوطني الثالث (لمشاهدي التلفزيون الفاعلين) الذي نظمته جماعة (لنتحدث بصراحة) ، وقد قامت (لجنة دراسة وسائل الاعلام) باصدار عدد خاص من دوريتها الموسومة (الوجه الاخر لوسائل الاعلام) في ايلول ـ تشرين الاول ١٩٩١ (العدد السادس) تضمن تقارير تلك الندوة التي نضعها بين يدي القارىء الكريم ليطلع على حقائق عن وسائل التضليل الاعلامي التي آتبعها الحلفاء في عدوانهم على العراق في ام المعارك .

ومن الله التوفيق .

د . محمد مظفر الادهمي

مدير المركز

والمشرف العلمي

١٩٩٤/٤/١٥

وسائل الاعـلام وحرب الخليـج

ينبغي في البداية الاشارة الى ان واقع تأسيس (لجنة دراسة وسائل الاعلام) التي تصدر هذه النشرة يعد المحاولة الاولى منذ تأسيس (حركة الاذاعات الحرة) لخلق جهة قادرة على اجـراء دراسة ونقد لما تقوم به وسائل الاعلام • جهة قائمة على ثلاثـة عناصر هي :

١ ــ جمعيات مستهلكي وسائل الاعلام •
٢ ــ العاملون في مختلف وسائل الاعلام •
٣ ــ الصحفيون •

لقد دفع النجاح الكبير الذي حققته هذه المبادرة الى الاعتقاد بأنها تشكل ردا على أسئلة كثيرة تطرح حول تزايد أهمية وسائل الاعلام في مختلف ميادين الحياة ، وكانت حرب الخليج في هـذا الصدد عامل تنوير وتوعية دفعنا الى التجمع للقيام بتنظيم عملية رد فعل على ما قامت به وسائل الاعلام في أثناء هذه الحرب •

كنا قد طرحنا في العدد الاول من هذه النشرة اربعة اسئلة هي :

١ ــ كيف يمكن التحقق من مصداقية البيانات العسكرية ؟

٢ ــ لماذا قامت شبكات التلفزيون باعطاء الانطباع بأن هذا النزاع المسلح مجرد عرض مسرحي حيث استبدلت مشاهد الواقع والرعب بمجرد صور العاب فديو نظيفة وخداعة عن تقدم الاسلحة الالكترونية المستخدمة فيه ؟

٣ ــ لم قامت جميع شبكات التلفزيون بفسح المجال على مصراعيه لعسكريين كانوا يعملون بالقطعة قبل الحرب وقدمتهم على انهم خبراء ذوو مصداقية بينما كانت الابعاد السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية للحرب هي المدارات الاكثر اهمية ؟

٤ ــ لم كان الامريكان دائما هم مصدر الاخبار ؟

وتناولنا ايضا موضوع تشويه صورة الرئيس صدام حسين واستغلال وسائل الاعلام في اثناء الحرب وهيمنتها على المجتمع وتحدثنا كذلك عن (المجتمع المتواطيء) . مما لاشك فيه ان الافكار المطروحة في هذه الندوة ستغني تلك الاراء ، اذ قام المساهمون فيها بأجراء عملية تحليل لمجمل الاخبار المتناقضة والسطحية والعسكرية التي تناقلتها وسائل الاعلام في خلال الاشهر الماضية .

لقد تم التأكيد بشكل خاص على ضرورة وجود وسائل اعلام ديمقراطية حقيقية . انه امر صعب المنال دون نضال دائم يقوم به مستهلكو وسائل الاعلام اي نحن جميعا . هذا النوع من الديمقراطية لا يمكن الاستغناء عنه من اجل خلق عالم اكثر عدالة . لقد شاهدنا في صباح يوم الندوة فلم فديو امريكيا واستمعنا بعد

ذلك الى مداخلات قام بها بير غارنييه وهو عالم اجتماع ومهندس مدني وباحث في المركز الوطني للبحوث العلمية (CNRS) وصحفي القناة الثانية دومنيك برأداليه الذي هو ايضا عضو في نقابة الصحفيين الوطنية والفيلسوفة جنفيف كلانسي الاستاذة في جامعة السوربون ومعاون مديرمعهد استطلاعات الرأي (IPSOS) جان مارك ليشي ومديرمركزالتويثق والتحليل الاعلامي (ICADOC) كوي بيلاشو وعالم الاجتماع العضو في (CNRS) ايفون ماينو نوفيڤر وعالمة الاجتماع والباحثة في (NRS) اندريه ميشيل .

هيئة التحرير

الصورة من أجل الصورة

بقلم : بير غارنييه

مهندس مدني وباحث في (CNRS)

كان الكذب والافتراء هما السمة الغالبة على التغطية الاعلامية لحرب الخليج ومعرفة ذلك من قبل كثير من الناس بمثابة اكتشاف جديد يدل على انحراف وسائل الاعلام وتدهورها ، الا انني اعتقد ان ذلك لا يعبر خير تعبير عن مدى انحطاط وسائل الاعلام لانه يعطي انطباعا أنها في السابق تعاملت مع الاحداث بشكل افضل انما عرف عن وسائل الاعلام وعن المهيمنين عليها في اثناء حرب الخليج كان مجرد تأكيد لشيء كان موجودا في السابق ولم يكن اكتشافا لامر غير موجود •

قد يساعد من اجل دراسة هذا النزاع ان نلجأ الى المفهوم الذي طرحه المحلل وعالم الاجتماع (رينيه لورو) والذي يدعو الى دراسة الاثار غير المرئية وليس فقط انحراف النظام الاعلامي أي دراسة الاساليب المنحرفة التي تقدم شيئا على انه شيء اخر وهو ما يسمى بالدعاية •

كان الانحراف الذي نتحدث عنه الآن جميعا موجودا في السابق لكنه غير ملحوظ أذ ان وسائل ما يسمى بالعالم الحر كانت مستعدة دائما لكي تقول اي شيء من اجل الدفاع عن امتيازات هذا العالم الحر • لكن الفضيحة كانت هذه المرة كبيرة لان التضليل كان مكشوفا • باختصار لم تنجح وسائل الاعلام في هذه الحرب في قولبة العقول رغم الاساليب الحديثة التي اتبعت من اجل ذلك • ولكي نفهم اسلوب عمل وسائل الاعلام نأخذ مثلا من صحيفة اللوموند اذ يوجد في هذه الصحيفة بابا يحمل عنوان (حول العالم) وهو باب مخصص للاخبار التي تعتبرها هيئة التحرير ثانوية لكنها يجب ان تنشر لان عدم نشرها قد يدفع الى التشكيك في الطبيعة الديمقراطية للجريدة •

ماذا قرأنا مؤخرا في هذا الباب • قرأنا وتحت عنوان الكامرون (اربعة قتلى في اثناء مظاهرة في كامبو : يستمر القمع في الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية ، اذ هنالك في مالي وساحل العاج والسنغال حركات شعبية قوية تهدد حكومات هذه الدول التي تتبارى مع بعضها في الفساد والقمع • لا تتوفر لدينا اية ارقام دقيقة عن ضحايا فرض النظام في هذه الدول خلال الاشهر الأخيرة لكن عدد الضحايا يقدر حتما بالمئات) • تصوروا مدى الصراخ والعويل الذي تقوم به شبكات التلفزيون والاذاعة والصحافة عندنا لو ان شيئا من هذه المجازر قد حدثت في بوخارست او في الصين • لكن هؤلاء القتلى الكامرونيين الاربعة لن يستحقوا سوى اشارة بسيطة ومقتضبة في هذا الباب الهامشي من صحيفة اللوموند •

سخط انتقائي

ومن مصادفات الدبلوماسية ان الرئيس الكاموني بول بيا كان في ذلك الوقت في باريس في زيارة لقصر الاليزيه الرئاسي وعند خروجه من لقائه مع متران سأله الصحفيون فيما اذا كان يعتقد ان القمع في بلاده يتناقض مع وصايا متران التي قدمها في حزيران اثناء القمة الفرنسية ــ الافريقية التي عقدت في مدينة (بول) والخاصة بتحويل الانظمة الافريقية الى انظمة ديمقراطية ، اجاب بيا على ذلك قائلا : (لا اعتقد انني سأحرف شيئا في رأي الرئيس متران اذا ما قلت انه يعتبرني من افضل تلامذته) • هكذا تعمل وسائل الاعلام منذ سنوات وفق مبدأ (الانتقائية في السخط) وهو مصطلح ابتدعه اللغوي التقدمي الامريكي (نعوم شومسكي) أي وفقا (لحقوق انسان ذات معايير متغيرة) • أذن عندما تقوم الانظمة التي تعتبر معادية للغرب بانتهاكات لحقوق الانسان تفتح عليها نيران المدفعية الاعلامية العملاقة وحين تقوم بذلك انظمة اكثر فسادا لكنها صديقة للغرب لا يجري الحديث عنها باللهجة او الحجم نفسه فتعزى تهم المجازر والتعذيب والاعدامات الى الانظمة ذات التوجهات الشيوعية والاسلامية وحتى العربية اما الانظمة الاخرى فيكتفي بوصفها بالدكتاتوريات العسكرية او بالانظمة الاستبدادية دون الاشارة الى انها تنتمي الى العالم الرأسمالي • فضلا عندما يذكر اسم (الاب بوبيلزد) يعرف الجميع فورا ان الامر يتعلق (بشهيد) قتلته الشيوعية • أما ما ذكره الاب (جارلان) او الاب (مير) فلا أحد يعرف عنهما شيئا ذلك ان الاب (جارلان) هو القس الفرنسي الذي كان يعمل في الحي العمالي في (سانتياغو) في

(شيلي) والذي اغتيل بطلقة في رأسه من قبل جلاوزة نظـــام (بينوشت) • لقد تم اغتيال (الابين) في نفس الوقت الا ان القس الفرنسي الملتزم سياسيا لم يستحق سوى مجرد اشارة بسيطة في صحيفة (اللوموند) ولم يجر الحديث عنه فيما بعد اطلاقا • يمكن ان يقال الشيء نفسه بالنسبة لاغتيال الاب (كابرييل مير) في عام ١٩٨٩ • اذ تبنت وسائل الاعلام الموقف نفسه ازاءه وتكتمت عن اسباب هذه الجريمة السياسية • كذا الحال بالنسبة لاغتيال ستة اعضاء من الجمعية اليسوعية في السلفادور قبل سنة ونصف على يد قوات (كوماندوز) وبتوجيه مـــن ضباط مرتبطين بالمخابرات الامريكية • لقد اشير فعلا الى ذلك بعناوين كبيرة في الصحافـــة الفرنسية الا انه تم تجاهله كليا بعد ذلك بيومين فقط •

ان ما نلاحظه من رقابة في اثناء النزاعات المسلحة ليس وليد الامس القريب لكنه يعود الى الحرب العالمية الاولى اذ كان يجري الحديث اثناءها عن(حشو الادمغة)•وهي ممارسة أعيد العمل بها أثناء حرب الخليج التي بلغ الكذب عن طريق السهو المتعمد والتلفيق ذروته لدرجة ان الاكاذيب اصبحت مسلمات مقبولة • لقد أتـت هذه الحرب بعدة تجديدات فيما يتعلق بقولبة الادمغة اعلاميـــا وسأتناول هنا بالحديث ثلاثا منها :ـ

الرقابة الذاتية التوجيه

كانت توجد في السابق رقابة الدولة الرسمية • كنا نحتـج عليهـا ونتذمر منها الا اننا كنا نتقيـد بها شئنا ام أبينا قائلـين (يا للفظاعة ياله من انتهاك لحرية الصحافة •••) وابتدعت بعـد

ذلك ما يسمى بالرقابة الذاتية التي انتشرت بشكل واسع والتي كان الجميع يحاول تناسيها رغم حضورها في زمن السلم والحرب • لم تكن مفخرة لاحد • أما الرقابة ذاتية التوجيه فهي خطوة جديدة في اتجاه التخلي عن المبادىء • لقد أخذ هذا النوع من الرقابة ينتشر بسبب مواقف اللامبالاة التي يتبناها ليس فقط اولئك الذين يفرضونها ولكن ايضا اولئك الذي تفرض عليهم كالمراسلين والمندوبين ومقدمي البرامج وكتاب الافتتاحيات ومدراء الشبكات بل وحتى مالكي الصحافة • كان يقوم في السابق احيانا الصحفيون واصحاب الصحف بترك مساحات بيضاء تعبيرا عن احتجاجهم على الرقابة ولكي يقولوا لقرائهم (انتبهوا للرقابة هنا) أما اثناء العمليات العسكرية في الخليج فكان ينشر هامش يومي يقول أن الاخبار قد أوردها صحفيون يعملون في اطار تجمعات صحفية (POOLS) وموجودون خارج منطقة العمليات ، ورغم ذلك كانت كتاباتهم تخضع للرقابة لقد اصبحت الرقابة ذاتية التوجيه أثناء حرب الخليج مستوعبة نفسيا وفكريا واعتبرت شيئا طبيعيا لدرجة أن شخصيات مثقفة مثل (أيف لاكوست وجرار سالبان وجان كلود) تبنوا تحذيرات العسكريين القائلة بعدم ضرورة الافراط في ايراد الحقائق من اجل عدم التأثير على معنويات الخطوط الخلفية في البلاد اي معنويات المدنيين التي يمكن ان تتأثر اذا ما نشرت صور دامية عن الجنود وعن السكان المدنيين العراقيين الممزقة اشلاؤهم بالقنابل وكذلك بعدم نشر معلومات عن العدو عن طريق وسائل الاعلام كانت الحجة المستعملة لتبرير ذلك هي ضرورة

الابتعاد عن الاثارة • لقد قام المنتفعون المحسوبون على اليسار بتبني وجهة النظر العسكرية وهكذا نرى ان دروس حرب فيتنام قد استوعبت بالكامل وليس فقط من قبل العسكريين والحكومات•
أما في الولايات المتحدة فقد كان الوضع افضل اذ اجريت اثناء الحرب العديد من استطلاعات الرأي حيث كان يسأل الامريكي (العادي) عن رأيه بوجود الرقابة وكان ٦٢٪ من الذين طرح عليهم السؤال يعتقدون انها ضرورية لرفع المعنويات وكذا الحال كان بالنسبة لعرض صور المدنيين العراقيين ضحايا القصف الامريكي•
هذا هو ايضا موقف الصحفي الفرنسي (جان كلود غيبو) الذي يعتقد بضرورة التعامل بعناية مع الخسائر المدنيـة العراقية لان عرضها يقدم خدمة الى صدام حسين في حملته ضد الغرب •
لقد عبر عن رأيه هذا قبل مهاجمة ما سمي (بالمخبأ) العسكري •
وهكذا نرى ان الرقابة اصبحت شيئا مقبولا ومبررا وعاديا واخذت توجه وتدار ذاتيا ودون اي خجل •

الخبراء المزعومون :ـ

اما التطوير الثاني فهو دور الخبراء الذين رأيناهم يتبخترون على شاشات التلفزيون ويتحدثون باسهاب على موجات الاذاعات لم يكونوا عسكريين متخصصين وانما جامعيـون وباحثـون في العلوم الاجتماعية استدعوا للقيام بدورهم في محفـل التضليل الاعلامي • انتظرت هيئات التحرير عدة ايام قبل ان تقرر اللجوء اليهم • يجب القول ان شخصية الخبير في مهرجان الكذب والتلفيق هذا كانت شخصية غريبة اذا ما قورن بشخصية الصحفي الذي يتهم

على الدوام بالخضوع لما يقوله العسكر وبالتلفيق من اجل زيادة عدد قراء صحيفته • كان الاستاذ الجامعي الذي رقي الى درجة (خبير) في اثناء حرب الخليج يعتبر رمزا للجدية والاستقلالية وتجسيدا للموضوعية والانصاف نظرا لكفاءته وثقافته وطريقة تفكيره العلمية • كان يفترض ان يكون ذا نظرة شمولية • اما في واقع الحال فكان هؤلاء الخبراء أكثر التزاما لجانب العسكريين بل كانوا مجندين لخدمتهم • وعلى خلاف ما تظاهروا به لم تتسم نظرتهم الى الاحداث باية شمولية وانما كانوا دعاة حرب • لقد مارسوا باسم العلم والكفاءة والتخصص المهني عملية حشو دماغ عن وسائل الدعاية والاعلام التي وضعت تحت تصرفهم • كنت تراهم يقولون :ـ (يجب الانتباه وعدم الانقياد وراء المشاعر واقوال الصحفيين وولعهم بالدعاية وحب الاثارة • يجب التحلي ببرود الاعصاب وامتلاك القدرة على تحليل الاحداث بصورة شمولية) • لقد خدم هؤلاء الخبراء المزعومون وسائل الاعلام كثيرا من خلال ظهورهم فيها ذلك انهم اعادوا بناء ثقة الجمهور بها بعد ان اخذ ينظر اليها بعين الشك •

وفي هذا الصدد كان النقاش الذي جرى صباح يوم السبت على موجات (راديو فرنسا الثقافي) بين (كاستورياديس) و (فنكيد كروت) وزملائهم ذا مغزى كبير • كانت الاسماء نفسها تلهث من استوديو الى اخر ومن هيئة تحرير الى هيئة تحرير للحديث عن التطورات في العالم • كانوا اشبه بالمقاتلين في ساحة المعركة منهمكين بدورهم الجديد هذا • وحينما كانت الاخبار تبدو

بلا مصداقية لانها مسيسة بافراط من قبل البنتاغون او القادة العسكريين يسارع هؤلاء الخبراء الى بذل جهود مضنية من اجل اسباغ مسحة علمية على ادائهم ولاعطائه طابعا ايديولوجيا .

لم يكن هؤلاء المثقفون مناضلين كما كان حال مثقفي الماضي وانما كانوا مجرد علماء يحاولون ـ تحت ستار العلم والشمولية والموضوعية ـ جعل الحرب تبدو اقل مأساوية وشيئا عاديا ومادة للبحث والدراسات وليست سببا (للمجابهة) كما قد تقول ذلك صحيفة اللوموند . اثناء الحرب الجزائرية كان المثقفون يبعدون عن التلفزيون . اما اليوم فان التلفزيون هو الذي يذهب اليهم ويدعوهم الى استوديوهاته . ذلك انهم قد تغيروا اذ تخلوا عن عدائهم للنزعة العسكرية . كانت مشاركة المثقفين قبل عشرين سنة في امر كهذا يعني خوضهم معركة . اما اليوم فلم يعد الامر سوى مجرد (نقاش) يتحاور فيه خصوم سياسيون في جو ودي . وهكذا تحول المثقفون الى مجرد صانعي اراء وصانعي اجماع .

تحريف الواقع :ـ

ويتعلق التطوير الثالث بدور صنف خاص من الخبراء هو صنف (خبراء الاعلام) الذين اخذوا يقومون باداء دور خاص نظرا لاهمية التلفزيون المتزايدة . لم يتمكن فقط هؤلاء الخبراء من تحقيق قفزة مهنية كبرى وحسب لكنهم حققوا ايضا مكاسب مادية كبيرة بفضل تجارة اجادوا ممارستها . كانوا بحق كواسر تعتاش على اكل الجيف حالهم حال النسور . لقد تمكنوا من خلق هالة فوق وسائل الاعلام وجعل الجمهور يتجاهل القرائن والمنطق

الاجتماعي والاسباب الاقتصادية والسياسية التي ادت الى الحرب . وابتدعوا ما يسمى بنقد النقد بحيث اصبح نقد وسائل الاعلام هو الغاية بحد ذاته واضحى ما يبث على شاشات التلفزيون اكثر اهمية مما يجري على ساحة القتال . كان نقدا لصورة لصالح صورة اخرى .

وهكذا فان تجارة الاخبار التي جرت اثناء حرب الخليج ادت الى حدوث ما اسماه (غوي دربور) بالتضليل الاعلامي . اذ حرفت وسائل الاعلام الواقع عن طريق اختلاق الاكاذيب وتناول الاحداث بشكل يدفع الجمهور الى الاكتفاء بالتفرج على ما يعرض عليه . الامر الذي دفع (جان بدردريارد) الى القول ان الفارق بين ماهو واقع وماهو ممكن هو فارق يتعلق بالدرجة وليس بالطبيعة الى تفضيل المعروض على الواقع ، لكننا لم نرسل هؤلاء الكذابين الى طريق البصرة لكي يقولوا لنا ان حربا لم تقع في الخليج . وهذا لا يعني اننا لا يجب ان ننتقد الصور ولكن عندما يكون النقد عن طريق اجراء مقارنة بصورة اخرى ودون الرجوع الى الواقع فان ذلك لابد ان يعني ان ثمة كمين .

كان هؤلاء المثقفون يتحدثون عن الحرب كما لو انهم يناقشون فلم (نهاية العالم) او فلما حربيا اخر . اذ سعوا الى تعليق انتباه الناس بالشاشة والى جعل المواطن العادي في البلدان المتقدمة يتبنى موقف المتفرج لما يحدث حوله . لقد ذكر (غي دوبور) حول هذا الموضوع في مقدمة كتابه (تعليقات حول مجتمع الاستعراضات)

الذي نشر قبل سنتين من اندلاع حرب الخليج ان : (من يشاهد لكي يرى ما سيحدث لاحقا لن يقوم بفعل اي شيء • هذا هو حال المتفرج) • لقد حاولوا اقناع الجمهور انه مجرد متفرج وذلك عن طريق بث سيل من الصور لساعات طويلة • وعندما كان (بول فيرليو) او (سيرج داني) يقول (نحن) فانهما كانا يعنيان بذلك مشاهدي التلفزيون • لقد اسهم ذلك في تعميق قناعة الناس في ان دورهم الاساس هو الجلوس والانطواء على الذات والتسمر امام جهاز التلفزيون والتصرف والتفكير على انهم متفرجون • انه تجريد للواقع من واقعيته • وتجدر الاشارة الى ما قاله (بودربار) حول هذا الموضوع اذ قال ان الواقعية البالغة التي نراها في التلفزيون هي اكثر واقعية من الواقع نفسه في ساحة المعركة وان الفعل الاعلامي اكثر تأثيرا من فعل الواقع • عندما يتحدث عن الدمار الذي تحدثه الحروب فهو يعني بذلك الدمار الذي يحدث في العقول • وهذا ما ذكره ايضا الكاردينال: (لوستيجر) حينما ادعى قائلا بان الاكثار من مشاهد الحرب يؤدي الى خلق مشاعر وتصورا في التفكير اكثر ضررا للفرد من الجروح والوفيات الفعلية الناجمة عن الحرب • وهكذا فان ما قصداه بالدمار لا ينطبق على ضحايا الحرب الفعليين وانما على الضرر الفكري الذي يصيب مشاهدي التلفزيون • لقد ارادوا بحجة انتقاد وسائل الاعلام اقناعنا ان هذه الحرب لم تكن مجرد حرب تشارك فيها وسائل الاعلام وهذا ما كان صحيحا وانما حربا اعلامية وهذا ما لم يكن صحيحا لانها كانت حربا تقليدية من جميع النواحي كما ذكر ذلك

(كاسترو بادبسن) بوضوح في جواب على سؤال وجهته له مجلة (تيلارامانين) يتعلق بما اذا كانت هذه الحرب حربا حضارية ام لا اذ قال : (ان رائحة البترول تشم فيها) • هل قلتم بترولا ؟ انها الكلمة التي لم تذكر الا نادرا لانهم ارادوا ربط صورة هذه الحرب بموضوع الصراع الحضاري • اذ قام الخبراء بعرض صورة مجملة عن الحرب يرافقها تعليق مخاتل يدفع الناس الى الاعتقاد بلا واقعية الواقع والى الايمان كما يقول (لابور) بمنطق علاقة مع الواقع تكون الارجحية فيه لصالح الاستعراض • واقع يطغى عليه الاستعراض وبلا نقاط ارتكاز • لدرجة ان الامر وصل بهم الى انتقاد تقرير بمقارنته بتقرير اخر وليس بالواقع • وهذا لم يكن مدهشا ان ترى ان القتلى العراقيين كانوا اقل اهمية بالنسبة للمشاهدين لان ما كان يجري بالفعل لم يكن يهمهم طالما لم يروه على شاشة التلفزيون •

وقالوا بعد التوقيع على اتفاقات وقف اطلاق النار ان الحرب قد انتهت وهذا غير صحيح بل يمكن القول انها قد بدأت بداية جديدة او دخلت مرحلة جديدة • ومن جهة اخرى تتحدث صحيفة (ليبراسيون) عن العودة الى سياسة الامر الواقع • الا اننا يجب ان نقول ان هذه السياسة لم تختف ابدا • كانت موجودة قبل احداث آب واستمرت بالوجود بعد ذلك بشكل مموه بفضل متاجر الالبسة القانونية الجاهزة في هيئة الامم المتحدة •

جثث متناثرة :ـ

ومن سلبيات وسائل الاعلام ايضا انها قامت باخفاء جثث القتلى العراقيين فهي لم تكتفي بعدم التحدث عنهم بل انها لم تعرض

صورهم • تناولت ذلك بعض الصحف مثل (اللوموند دبلوماتيك) و (الايديو انترناسيونال) و (موردوكس) و (الاحمر) الا انه كان يسمى بعناية ولا يعثر على اثر له في بقية الصحف • لقد ادى هذا الصمت عن عدد القتلى الى تجريد الواقع من واقعيته جراء هذه (التغطية) الاعلامية الانتقائية •

اورد (بيراتون بوارو دوليش) في مقاله (ذلك الربيع) الذي نشره في (اللوموند) رقما مثيرا للاستغراب اذ قال : (كان ٨٥٪ من الفرنسيين لا يكترثون لعدد القتلى العراقيين) وقد كشف نفس استطلاع الرأي هذا الذي اجري بعد الحرب ان التكتم على عدد القتلى العراقيين لم يكن يثير أية دهشة لان المواطن اصبح مجرد متفرج يشاهد التلفزيون • وهكذا فان النقد الموجه للتحقيقات التلفزيونية عن الحرب لم يكن ذو فائدة •

قامت احدى وحدات الهندسة الخاصة التابعة للجيش الامريكي بعد المذبحة التي جرت على طريق البصرة بدفن القتلى العراقيين او ما تبقى منهم بالجرافات الضخمة في مقابر جماعية • استمرت العملية اربعة ايام • ولهذا السبب لم يعثر الا على عدد قليل من الجثث • كانت الجثث متفحمة ومتهرئة جدا ولم يكن بالامكان التعرف على اصحابها • لقد نفذ الامريكيون في اثناء حرب الخليج عملية تمويه اكبر من تلك التي نفذوها في بنما • اذ اخفوا عن الانظار ما مجموعه ٤٥٠٠ جثة عدد كبير منها جثث مدنيين قصفتهم طائراتهم • وفي الوقت الذي كانت فيه قضية المقبرة الجماعية

المزيفة في تيماشورا تشغل الصفحات الاولى في العالم كان الامريكان يحفرون فعلا قبورا جماعية في بنما • الا ان احدا لم يتحدث عنها لان هذه المناطق كانت مناطق ممنوعة على الصحافة • في الواقع ان بوش الذي كان رئيسا سابقا لوكالة المخابرات الامريكية كان يسعى جاهدا للتخلص من شريكه السابق نوريغا لانه كان يمتلك اضابير ساخنة عن نشاطاته السابقة وخصوصا فيما يتعلق بتمويل الكونترا في نيكارغوا باموال المخدرات •

من المؤكد ان الصحافة لم تخرج معافاة من مذبحة طريق البصرة• فبعد (١٥) يوما منها اعلنت صحيفة الليبراسيون ان السلاح الذي استعمل فيها كان سلاحا ممنوعا وفق اتفاقيات جنيف وذكرت ان بعض المختصين تحدثوا عن احتمال استعمال قنبلة نتروجينية اثناءها • ومن الجدير بالذكر ان نفس هذه الصحيفة كانت طوال اشهر عدة تكرس بابا يحمل عنوان (سلاح اليوم) ولم تتطرق الى ذلك • لم تجرأت هيئة التحرير فيما بعد لتعبر عن اسفها لهذه المذبحة التي لم تكن سوى نتيجة للتجارب على ارض الواقع لاسلحة الموت التي كانت تتحدث عنها باسهاب في السابق ؟

ابادة سرية

على النقيض مما كان يحدث اثناء مذابح اليهود التي قام بها الرايخ الالماني ، استطاع نظام بوش العالمي وحلفاؤه من اخفاء عشرات الالاف من الجثث • ليس هناك اختلاف بين ما قام به الرايخ الالماني ودعاة هذا النظام العالمي الجديد • الا ان ما حدث

انه لم تكن ترى جثث قتلى وهكذا لم تكن هناك حاجة لتوجيه الاتهامات • انه تطور حاسم في فن الابادة الجماعية • لقد دخلنا مرحلة جديدة يكون فيها موتى الأعداء سرا لان احدا لا يعرف بموتهم • وفي هذا الصدد كانت حرب الخليج حقل تجارب • لقد جربت الابادة عن طريق التجويع وعن طريق المذابح • فبعد عمليات (قضية عادلة) و (عاصفة الصحراء) برز الى الوجود بفضل التهويل الاعلامي حق جديد هو حق الابادة السرية لسكان بأسرهم ، كانت حرب الخليج بداية مرحلة مثيرة للقلق • ليست مرحلة دعاية وفقا للتعبير الكلاسيكي ولكنها مرحلة تضليل اعلامي يهدف الى نشر معلومات خاطئة لخداع (العدو) والسكان (الاصدقاء) والرأي العام الداخلي والخارجي لكي لا يتخذ موقفا مناهضا للحرب • كان عدم الاكتراث هو الموقف الذي نشأ عن هذا التضليل الاعلامي لدى الجمهور ولدى مشاهدي التلفزيون بالذات الذين انتهى الامر بهم الى اصدار احكامهم على اساس ما يرونه في التلفزيون وليس على اساس الواقع • هل ولد ذلك شعورا بالامتعاض لدى الجمهور ؟ في الواقع لقد اشبع مشاهدو التلفزيون بمشاهد سقوط جدار برلين واحداث رومانيا المأساوية وساحة يامين وتولد لديهم شعور بالاحباط نتيجة قلة مشاهد أحداث حرب الخليج التي كانوا يهيئون لها منذ اشهر طويلة •

كانت مشاعر الانتقاد أقل عنفا رغم ان صور مشاهد حرب الخليج كانت على نفس مستوى فلم (نهاية العالم) ورغم كثرة

عدد القتلى وسعة الدمار الذي كان يصور ببعض الواقعية ومع ذلك فأن بعض الاوساط المتنفذة أخذت تتحدث بقلق عن فقدان مصداقية وسائل الاعلام ، فلو اصبح الجمهور لا يصدق ما تقوله وسائل الاعلام فان الامر سيصبح خطيرا لذا فأن الحكومات والنواب هم محقون في قلقهم هذا !

الصحفيون في خضم الاعصار

بقلم دومنيك براداليه
عن قناة التلفزيون الثانية الفرنسية

لقد شهدنا حربين مختلفتين عن بعضهما الاولى شنتها ثمانية وعشرون بلدا ضد صدام حسين والشعب العراقي والثانية حرب شنتها وسائل الاعلام ضدهما . سوف نتحدث هنا عن هذه الحرب الثانية ، كان الصحفيون هم اكبر الخاسرين في هذه الحرب التي كانت متماشية في مراحلها مع الحرب الفعلية : مرحلة التحضير ثم مرحلة القصف المكثف وبعد ذلك مرحلة التهدئة . اتسمت مرحلة التحضير بجعل العدو يبدو كأنه شيطان وبدأت قبل دخول العراق الى الكويت في ٢ آب ١٩٩٠ . لم يكن صدام حسين في ذلك الحين في تلك الصورة المشوقة التي اصبح عليها فيما بعد وبالشكل الذي نعرفه . لقد سقطت غالبية وسائل الاعلام دون مقاومة في فخ الدعاية . اما المرحلة الثانية فشملت التحكم بالصحفيين بشكل مكثف . وكانوا محاصرين في فنادقهم حيث يقبعون دون قدرة على التحرك . لم يكن بوسعهم الحصول على اية معلومات موقعية . كانت سلوتهم الوحيدة هي الاستماع الى قراءة التقرير الذي يقدمه

اليهم العسكريون الامريكان والبريطانيون وفي بعض الأحيان الفرنسيون •

مقطوعون عن العالم

كان بوسعهم مشاهدة عملية اقلاع الطائرات للتوجه للقصف ورؤية طائرات (الجاكوار) ولكن كان يستحيل عليهم مشاهدتها وهي تعود • واذا ما تمكنوا من الافلات من رقابة العسكريين الامريكان والسعوديين والفرنسيين ومن رقابة (التجمع الصحفي) الامريكي فأنه يمكن ان يكونوا عرضة للوشاية من قبل أحد زملائهم الامريكان • بأختصار كانوا في قلق دائم ومقطوعين عن العالم • كانت المعلومات الوحيدة التي يحصلون عليها هي تلك المعلومات التي كانت تصلهم من باريس • كان كل ذلك بالنسبة لنا (لعبة) أنني استعمل هذه الكلمة عن قصد لاننا كنا نرسل ما كان بحوزتنا وهي اشياء بسيطة جدا عن طريق الفاكس وكانت الادارة وهيئات التحرير في باريس هي التي تقرر متى يمكن ان تتحدث معنا على الهواء• كانت تفعل ذلك حتى وان لم يكن لدينا أي شيء نقوله• وهكذا كانوا مضطرين للحديث عن اشياء لا يعرفونها وذلك تطبيقا للبرمجة التي هيئت للبرامج الخاصة والتي تم اخراجها بشكل خاص لكي تبث في اوقات محددة • وفي اثناء المرحلة الثالثة اي مرحلة التهدئة اخذنا نقول بأننا لم نعمل بالقدر الكافي وما كان يجب أن يعمل ••• الخ • وقامت قناة التلفزيون الثانية بتخصيص برنامج خاص يهدف الى اعادة دراسة التقارير واعداد محصلة منظمة قام بأعدادها مدير قناة العالم في يوم السبت ١٣ ــ نيسان •

تضمنت المحصلة تقارير المراسلين والمكالمات الهاتفية التي كانت ترد من المشاهدين وهذا ما كان نادرا اذ لاول مرة يحدث منذ ٢٣ عاما ان يقدم تقرير كهذا ومع ذلك يجب القول انه لم يكن بالتقرير المهم لان غالبية المشاهدين في الفترة الواقعة بين ١٣ــ٢٠ شباط كانوا على وعي بوجود عملية تضليل اعلامي اذ لم تكن تذكر مصادر المعلومات ولم تكـن تحترم التعددية وكان الصحفيون يشعرون بالعزلة • ومع ذلك فلابد انه قد شعروا ببعض الارتياح لان ادارتهم قد اخذت في نهاية الامر بنظر الاعتبار وجهات نظرهم وردود افعال المشاهدين •

تهميش المعارضين

حتى قبل بداية الحرب كان يعتبر كل شخص له رأي مختلف او معارض للاجماع الداعي للحرب مشكوكا به ويحرم من التعبير عن رأيه • فمثلا تم تهميش رشيد ارحب رئيس قسـم السياسة الداخلية والذي كان يظهر على الشاشة في خلال الاسابيع التي سبقت الحرب • باعتباره رئيسا لهذا القسم كان لابد ان تكـون له كلمته في الافتتاحيات التي يحررها الصحفيون العاملون (ضمن الخط) • حتى انا شخصيا نقلت من منصبي ومنعت من النشـر ووضعت على الهامش لانني كنت انزعج رغم القليل الذي كـان يسمح لي به ورغم شعوري بانني لم اكن افعل كثيرا • في اثناء نشرة اخبار الساعة الواحدة ليوم السبت ٢ شباط قام (مارسيل فريا) بتقديم تقرير من الخليج استنكر فيه عدم القدرة على العمل • كان تقريرا عنيفا من ناحيتي الشكل والجوهر • ولم يعجب ذلك طبعا

الادارة • وقمت انا ايضا في يوم الاحد التالي بالشيء نفسه الا انني حاولت تقديم شرة اخبار اصولية • لقد دعي (روجه كارودي) على الهواء مباشرة وتحدث عن (الحرب الاستعمارية) الامر الذي سبب صدمة كبيرة لذا جاءني كتاب من الادارة فيه اشارة واضحة لوضع (روجه كارودي) في القائمة السوداء مما اضطر نقابتي (النقابة الوطنية للصحفيين) الى عقد مؤتمر صحفي لعرض حالتي ونظمت كذلك العديد من عمليات الاحتجاج لدى الادارة لكن دون ان يؤدي ذلك الى اي رد فعل ايجابي من قبل مدير قناتي التلفزيون الثانية والثالثة (هرفي بولج) •

وتجدر الاشارة ايضا الى ان كل المختصين بشؤون الاسلام والشرق الاوسط في القناة قد تم تجاهلهم ولم يرسل اي منهم الى الخليج • بل على العكس ارسل الى الخليج العديد من الصحفيين الشباب الذين لم يكونوا يعرفون أي شيء عن الحرب والدعاية والرقابة وهكذا فعندما لا يمتلك المرء خبرة جيدة يسهل التلاعب به ويصعب عليه الافلات من سيطرة العسكريين والتجمعات الصحفية Pools اذ يشعر بالخوف ولا يتجرأ على فعل شيء • ان ما يقوم به طبعا لا يمكن ان يوازي ما يقوم به صحفي متخصص قد زار مثلا لبنان وغطى اخبار عدة حروب وعلى اطلاع بمخاطرها المحتملة وعلى دراية بهامش الامان • ان الصحفي الشاب قليل القدرة على مقاومة ضغوط ادارة التحرير فعندما يقول له المدير : ذكرت البرقيات الصحفية ان هناك ٥٠ قتيلا فأن الصحفي الشاب

يقبل ذلك بشكل اسرع من الصحفي ذي الخبرة ولا يتجرأ ان يرد ابدا بالقول ان هناك ٥٠٠ قتيل وانه واثق من ذلك .

ارسلت القناة الثانية ٣٠ شخصا لتغطية الحرب ولحسن الحظ استطاعت بعض التحقيقات الصحفية عرض اشياء اخرى مثلا ان الاراضي التي تحتلها اسرائيل كانت مطوقة وخاضعة لمنع التجوال بشكل جديد وممنوعة على الصحفيين . ان تحقيقات كهذه لم تعمل بناءا على طلب الادارة الباريسية ولكن بمبادرة من الصحفيين في موقع الاحداث رغم ان هؤلاء الصحفيين قد ارسلوا للركض وراء صاروخ (سكود) عراقي محتمل .

صحفيون مسحورون

كانت الدعوة الى الحرب هي الدعوة السائدة وكان يصعب طرح اسئلة بشأنها وكان من السهل جدا ان ينقاد المرء ويخدع بالمآثر التكنولوجية للتحالف وذلك كان يدفع الى ان يكون المرء مرتاح الضمير اذ كان يبدو انه لن يكون هناك ضحايا . بالاضافة الى ذلك كانت الصورة الاولى لصاروخ (سكود) تضطهده وهو محطم بصاروخ (باتريوت) كانت صوره فريدة سحرت الكثيرين ولكن ماذا عن الناس تحت القنابل . بصورة عامة عندما يصعب الحصول على معلومات من مصادرها يحاول الصحفي ايجاد مصادر اخرى اما هنا فكان كل شيء مغلقا ، لم يكن بالامكان الحصول على اية معلومات اخرى وفي الواقع حتى في زمن السلام كان يصعب العمل في العراق والكويت فتصوروا الوضع في زمن الحرب ، لقد وضع الصحفيون في قوالب وكان غالبيتهم يقول مع

انفسهم : (بما اننا لا نعرف شيئا اذن نحن لا نعرف شيئا) • اما السبب الاخر لهذه الكارثة الاعلامية فيعود الى ان الصحفيين قليلو التخصص فمن بين ٢٥٠ صحفيا الذين يعملون في القناة الثانية لا نجد منهم سوى ١٥ أو ١٦ يعملون في قسم السياسة الخارجية • طبعا يحاول الصحفيون الجدد تعميق معارفهم في اختصاصاتهم ولكن بسبب قلة العاملين لا يستطيعون التخصص في كل شيء في البرتغال ويوغسلافيا وجنوب افريقيا •• الخ في وقت واحد • ويجب ان نذكر ايضا انه ليس للقناة تقريبا مراسلون في الخارج ، هناك ثلاثة فقط منهم في الامم المتحدة ولا أحد في اسيا وافريقيا اي في بلدان الجنوب • وهكذا فأن القناة الثانية تسير في خط وسائل الاعلام الفرنسية والاوربية اي تتبنى نفس مواقف الشمال وبالذات الشمال الغربي •

لا مقاومة جماعية

مازلت لا استطيع تفسير قلة عدد التساؤلات من جانب الصحفيين طوال مدة هذا النزاع الامر الذي تسبب في سلسلة من الاخطاء التي كان من الممكن تجنبها بسهولة • اني آسف لذلك وأأسف لان عدد اولئك الذين كانوا يطرحون على انفسهم تساؤلات حول ذلك قليل جدا • عند توقيع الصحفيين على وثيقة (سيربا) قبل سفرهم فانهم يكونون بذلك قد وقعوا على وثيقة واجبات الصحافة العسكرية ونظرا لان العسكر هم الذين يتولون عملية النقل فأن الصحفي يضطر للتوقيع عليها • لقد قمت في حينها بتوزيع ميثاق الصحفيين الذي لو ان الصحفيين قد احترموه لما كانت هناك

أية مشكلة،ويبدو انذلك ازعج مزملائي الذين لايريدون ان يأخذوا ...م الى الخليج نصين متعارضين حاولت الادارة ان تقوم بشيء بصورة فردية لكي تنافس الشبكات التجارية الا اننا تصرفنا بشكل اسوأ منها فمثلا رفضت احدى الصحفيات الزميلات بعناد ان تذهب لتغطية الحرب رغم عدم انشغالها بأي شيء لقد تقبلت الادارة ذلك ولم ينتج عنه أي شيء لاحقا أما النقابة فأن التعبئة بها لم تكن هينة اذ يعتبر النقابي في هـذه المهنة انسانا تافها ، لقـد قامـت نقابة الصحفيين الوطنية في ١٧ كانون الثاني بتوزيع تحذير من التضليل الاعلامي الا انه لم ينشر في أية صحيفة ورأسلت ايضا بيانا مشتركا في ١٢ شباط لكنه لقي ايضا نفس المصير وهكذا نرى ان عمليـة التحكم بوسائل الاعلام كانت واسعة جدا لدرجـة ان الجنـرال (شوارسكوف) قد سمح لنفسه ان يشكر الصحفيين للمساعدة السخية التي قدموها له في خلال هذه الازمة . الخزي لمهنتنا .

مسألة الآخر

بقلم : جنفيف كلانسي
فيلسوفة من جامعة باريسا

ابدأ مداخلتي بسؤال طرحه علي نفسه جيل دولوز اثنـاء مقابلة صحفية اجريت مؤخرا معه لقد تساءل : كيف سيكون بوسعنا تسوية مسألة الخجل من كوننا بشرا ؟ ان كل ما عشناه اثناء حرب الخليج يعطيني شعورا بوجود تدمير احادي الجانب وشديد الوقع في نفسي • ان ذبح شعب وبلد لا يمكن الا ان يدفعني الى طـرح هذا السؤال : ما هو هذا الغرب الذي نحن جزء منه؟ ماهي المميزات الغربية ؟ وماذا يعني اليوم ان يكون المرء رجلا او امرأة تعيش في نطاق الاجماع العام في الغرب ؟ ماهي قيمة الحرية اذا ما عشنا في عالم قائم على الكذب والتزوير؟ وماذا يمكن ان تعني محاولـة ان تنتزع يوميا ومن كل شخص القدرة على التعاطف اي ان يشعر في اعماق قلبه بالالام التي تسبب للاخرين ؟ لقد سببت حرب الخليج مئات الالوف من القتلى المكلومين ولكن ازاء هذه المعاناة ماذا يعني وجودي انا •• انا التي اشكل جزءا من هذا الغرب والتي تحـاول تدريس الفلسفة في جامعة غربية ؟ لقد وصف صدام حسين بوصفه

الشر المطلق ، مشابها لهتلر كما لو ان هتلر كان يمثل ذروة البشاعة وكما لو ان شيئا لم يحدث قبله وكما لو ان شيئا لم يحدث حتى لقد بلغ الامر ان جلب الى شاشة التلفزيون العديد من علماء النفس والمحللون والنفسانيون ليتدارسوا الصورة المعطاة عنه ويتساءلون ماهي اعراضه .

عندما يقوم الغرب باعطاء تعريف لما يعارضه وما يجابهه من اعداء فانه يقوم بصورة تجعل العدو يبدو وكأنه وحش وممكن ان نتساءل عن اسباب ذلك . لاسيما وان هذا الموقف ليس جديدا اذ وفقا له تم ايضا رسم صورة عامة لما يسمى بالارهابي ففي السبعينات كان يعامل اعضاء عصابة البادر في المانيا كما لو كانوا وحوشا وحتى ان الامر قد بولغ به وكما حدث في مسرحية انتيكون لسوفكليس اذ منع ان يدفنوا وفقا للقوانين السارية بعد اعدامهم اذ مثلا كان على والد كودرن انسلاين الذي كان احد زعماء الكنيسة اللوثرية ان يناضل من اجل اقناع الرأي العام لكي يدفن اندرياس بادر وكودرن انسلاين وجان كارل راسبي وفقا لما هو متبع وليس بحرقهم وذر رمادهم . ومن الطريف انه في اوج هذه القضية التي كانت تهز الرأي العام كان السينمائي قد انهى تصوير فلم انتيكونيا للتلفزيون الالماني فقامت الدولة التي انزعجت للتشابه القريب بين موقفها ازاء اعضاء البادر ومنع دفن بولنيس في الفلم بمنع عرض هذا الفلم عدة اشهر .

طرد روح الشيطان من الوحش

عندما لا تستطيع الدول التفكير كقوة معارضة الامر الـذي يتعارض مع كيانها فانها تقوم بتشويه عدوها بصورة كلية ويبلغ بها الامر حتى الى انكار هويته الانسانية بشكل مطلق . اذن اين قيم هذه الدولة وكبرياؤها التي تعد بالنسبة لها المرجع الوحيـد والمقدس بشكل دائم ؟ وبما اننا نتحدث عن الامور المقدسة فمـن اجل التخلص من وحش ينبغي تقديم الاف الموتى ضحايا بالالاف ربما لهذا السبب كان يقول بعض الاشخاص وهم يخفون نصـف وجوههم : (ان هذه الحرب رهيبة بالتأكيد ، ولكن لابد منها) . (لابد من ذلك) اي يجب اخراج روح الشيطان من جسد الوحش يجب طرد الشر لانه يسيء الى ما هو سائد فضلا عن ذلك ان العدو عربي ويعتنق الاسلام وهكذا فان هنالك مبالغة في تصوير مدى قوته لتضاعف مرتين وثلاثة والى ما لا نهاية وكذلك الاهوال التي تعزى له ان ذلك يسهل رسم الصورة الوحشية له ويكون اسهل تلقيا .

لا يجب ان يخفى ما يوحيه الاسلام من خوف دائم في الضمائر الغربية لنتذكر قصة الحجاب التي تحولت الى قضية قومية وحيث رأيناه للاسف كل او تقريبا غالبية نقابات المعلمين تقف مع ادارات المؤسسات التي منعت شابتين من ارتداء الحجاب وللاسف ايضـا قرأنا اثناء هذه القضية وبقلم البعض : « اذا ما سمحنا اهم بذلك فسيمنعنا المسلمون بالمستقبل من تدريس فولتير او راسين في بلدنا » .

لقد قام في حينها اناس كانوا يقولون بانهم اصوليون كاثوليك بوضع قنابل في سينمات باريسية لمنع عرض فلم سكورسيز (الاغواء

الاخير للمسيح) • ومع ذلك فان ردود الافعال ازاء هذه التصرفات لم تكن واضحة واقل اجماعا • لقد اندهشت عندما رأيت في كل المواقف بما فيها مواقف اولئك المعارضين للحرب بان اولوية الهجوم تستهدف الزعيم العراقي• لم نشن حربا وانما نظمنا حربا صليبية كلفت مئات الالوف من القتلى حتى لم يكن لهم الحق في ان يكونوا موتى كبقية البشر •

الكلام للسلاح

لقد قرأنا وسمعنا بانهم قد ماتوا لانهم وضعوا هناك كعناصر لحماية اهداف عسكرية وهكذا بدلا من الحديث عن الملجأ المدني الذي مات فيه المئات من الاشخاص جرى الحديث عن موقع محصن تحت الارض لان صدام حسين كان يصور كأنه هتلر فان كل ملجأ موجود في بغداد لابد ان يكون موقعا محصنا عسكريا تحت الارض اي هدفا (للعمليات الجراحية) للتحالف • لقد قرأنا في ١٦ كانون الثاني في الهيرالدتريبيون ما يلي : (ان رسالة القاذفات والصواريخ هي رسالة عادلة واهدافها شريفة) وهكذا فعندما يبلغ الامر ان نقول عن اداة دمار مثل القاذفة بانها تحمل رسالة « حتى ميتران قال ان السلاح سيتكلم » فهذا يعني باننا نقبل بان الة الموت لها القدرة على الكلام وباستعمال كلمة (رسالة) فاننا نكون في ميدان « الفعل » وبذا نعطي القاذفات والصواريخ القدرة على الكلام واخشى ان يكون ذلك احد الملامح المؤشرة لما يجري الان في الغرب اذا ما وصل بنا الامر الى هذا المستوى غير الانساني ربما لاننا فقدنا القدرة على ان نرى في الاخرين حقهم في الحياة • اذ لم يكن لحدث

مهم ومهول كالكارثة التي حدثت في الخليج القدرة على ان نشعر بالالم وبالخجل وربما اننا لم يكن لدينا انطباع ان وراء تلك المذبحة حياة بشر ان الضمير الغربي مريض بعدم قدرته على تصور معاناة الاخرين واذا ما كان الامر كذلك فان عملية الدمار الذاتي هي عملية محتومة فبتركنا الشعب العراقي يسحق بهذا الشكل والشعب الفلسطيني يدمر كل يوم بصمت وبتقبلنا لهذا الموت المنسي للاخرين فاننا نكون قد بدأنا بالشروع بموتنا نحن •

استطلاعات الرأي وفبركة الرأي العام

بقلم جان مارك ليش
نائب مدير معهد استطلاعات الرأي — (IBSOC)

نظمت الصحافة الوطنية والمحلية اليومية والمجلات ومحطات اذاعة وتلفزيون ويبلغ عددها ٢٥ وسيلة اعلام (٦٠) استطلاعا للرأي حول نزاع الخليج في الفترة الممتدة بين اندلاع الازمة في بداية آب ١٩٩٠ وحتى نهاية الحرب شباط ١٩٩١ • وللمقارنة نذكر انه منذ نهاية الحرب وحتى الوقت الحاضر أي في نهاية نيسان تم عمل ٦٠ استطلاعا للرأي ولكن ماضيعهما كانت متنوعة في هذه المرة ومن اجل تلبية الرغبة العاجلة في طلب المعلومات واستطلاع الرأي قام ٥٠ ألف شخص بالاجابة على عدة مئات من الاسئلة المختلفة وبلغت كلف هذه الاستطلاع بالنسبة لوسائل الاعلام ٥ ملايين فرنك وهو مبلغ يساوي ما يجنيه معهد كمعهدنا في اثناء حملة انتخابية رئاسية نستثنى منها الحفلات التي تنظم لاغراض انتخابية •

لقد قام معهدنا بانجاز اول استطلاع رأي خاص بأزمة الخليج ونشر في بداية اب ثم قام باستطلاع آخر نشر في نهاية شباط ولقد انصب الاستطلاع الاول على مجمل القضايا الايديولوجية التي برزت خلال الستة اشهر التي تبعت ذلك وخصوصا النقاط الرئيسية الثلاث التالية :ـ

- اولا اشار بوضوح الى ان الفرنسيين تضامنوا مع الولايات المتحدة الامريكية • الامر الذي لم يكن مفاجئا الا بالنسبة لاولئك الذين لم يتابعوا عن طريق استطلاعات الرأي كيف ان صورة الولايات المتحدة الامريكية قد تغيرت في فرنسا اثناء الاثني عشر يوما السابقة •
- واشار ايضا الى ان اولئك الذين استطلعت اراؤهم تضامنوا مع الولايات المتحدة لانهم سياسيا يمينيون •
- واخيرا اشار الى ان ناخبي الجبهة الوطنية هم الذين كانوا اوضح ميلا لدعم الرغبة السائدة في بلدنا الا وهي القضاء جسديا وسياسيا على صدام حسين •

وتضمن الاستطلاع الاخير في نهاية شباط ٢٠ سؤالا استهدف معرفة مستوى معلومات الفرنسيين حول الحرب وظهر لنا مثلا انه في نهاية هذه الحرب كان ٣٪ منهم يعرفون عدد الجنود الفرنسيين الموجودين في الخليج وانهم كانوا في غالبيتهم يعرفون ماهو صاروخ سكود •

وفي الواقع اختفت الدلالات التي كانت تؤشر اعتياديا المعلومات وذلك بتأثير الحرب واخبار الـ CNN والرقابة • وهكذا فان حرب الخليج قد قامت بتغيير هذه العادات التي كانت سائدة لدى مشاهدي التلفزيون وبخلقها جوا من الاثارة والتجديد فانها قد وسعت من رقعة المشاهدين ومن مبيعات المساحات الاعلامية الامر الذي اسعد مدراء القنوات التلفزيونية وحتى محطات الاذاعة زادت من عروضها الاعلانية كما هو حال محطة فرانس انفو التي تعمل دون توقف والتي استفادت من حرب الخليج بتحسين مكانتها في السوق وقد خطت على خطاها (اوربا ١) و RTL وكل المحطات الاخرى واخذت تقدم معلومات مستمرة No Stop

اما الصحافة المكتوبة فبفضل ارقام المبيعات المنشورة في نشرة (باري سورفاس) ادركت ادارات التحرير ان الحرب زادت من مبيعاتهم وهكذا فان المجلات والصحافة اليومية تبعت نفس التيار واعطت الاولوية للحرب •

قضايا غامضة

لقد اصبح استطلاع الرأي في هذا الوضع المبهم من البحث عن الاخبار اداة ضرورية لمعرفة مستوى اهتمام الجمهور واستخدم كذلك لابقاء الفضول بل وتلهف الناس وذلك عن طريق تزويده بنتائج استطلاعات الرأي كمادة غذائية لذلك ومع ذلك فاذا ما كانت كمية الاخبار كافية لتلبية الطلب الكثيف عليها فان النوعية كانت تعاني بسبب الكلف المرتفعة لارسال فرق الصحفيين الى الخليج

وبسبب قلة الموارد الاعلانية التي كانت ملحوظة قبل بداية ازمة الخليج والتي لم يتمكن النزاع من اعطاء الحيوية لها وكذلك بسبب المنافسة الحادة بين وسائل الاعلام التي كانت بين فكي كماشة CNN والرقابة . كانت المعركة حامية الوطيس في ذلك الوقت بين القناة الاولى TFI والقناة الثانية A2 وبالذات في اثناء نشرة اخبار الساعة الثامنة التي يؤشر نجاحها مستوى اتساع رقعة المشاهدين لبقية السهرة اذ ان اعطاء الاولية في برامج التلفزيون الى (القضايا السياسية الكبرى) اثناء وقت المشاهدة الرئيسي هو خصوصية فرنسية بحتة اذ يكرس هذا الوقت في بلدان اخرى الى الالعاب والى المسلسلات الامريكية . اما الاخبار التي تبث (للشعب) وللطبقات المثقفة فانها تبث في ساعات متأخرة من السهرة لقد كان مستحيلا في اثناء الحرب ان تصاغ الاسئلة بشكل صحيح بينما كل شيء يجري كأنما ينقل نقلا مباشرا وكان المصدر الوحيد للاخبار هو ال CNN ولم يكن امامكم سوى نصف نهار لكي تدرسوا الموقف ولم تكن هناك أي امكانية للتحقق من صحة المعلومات المستلمة او من صحة التضليل الاعلامي ولم تكن شبكات التلفزيون الاجنبية ذات عون لنا لاننا ما ان انتقلنا من شبكة الى اخرى بفضل الاقمار الصناعية فاننا نرى نفس صور CNN في ايطاليا وبريطانيا او في اسبانيا وكانت نتائج الاستطلاعات تنشر في سياق مختلف عن السياق الذي جرت فيهوذلك نظرا لعدم الاستقرار البالغ في تلك المرحلة وهكذا مثلا ما معنى الاستطلاع

الخاص بتغيير عادات استهلاك الفرنسيين اثناء الازمة الذي اشرته مجلة الفيغارو بعد ٢٠ يوما من تنظيمه ؟ وكيف يمكن ان لا أصدم باسئلة مفبركة بشكل يهدف الى اعطاء الانطباع بان الناس كانوا يغيرون اراءهم كل يوم ؟ ألم تقم صحيفتان معتمدتان على استطلاعات قام بها نفس المعهد بوضع عناوين كان الفارق الزمني بينهما يومان وهما :

(لا حل وسط مع صدام) و (نعم للحل الوسط) ؟ لقد صيغ السؤال الاول بهذا الشكل : (هل يجب التفاوض مع دكتاتور مثل صدام حسين ؟) بينما صيغ السؤال الثاني وطرح على الناس بهذه الصيغة : (هل يجب التفاوض مع الرئيس صدام حسين ؟) لقد استهدف العديد من الاسئلة التي طرحت في اثناء هذه المرحلة الحصول على اجوبة تدعم الفكرة القائلة بأن الرأي العام الغربي كان متضامنا مع الولايات المتحدة الامريكية في مواجهة الرأي العام في الدول العربية وقد يعتقد البعض بأن ذلك لم يكن تشويها اعلاميا حتميا وهفوة لابد ان ترتكب في زمن الحرب كما يشير الى ذلك برنامج (التاريخ الموازي) الذي يبث اسبوعيا في القناة السابعة .

هيمنة ال CNN

قررنا بعد نشر الاستطلاع الاول في مجلة لوبوان في اواسط آب أن نستمر بالقيام بعملنا دون نشر النتائج كان ذلك بالنسبة لنا محاولة للوقوف بوجه التخبط في انظمة الاعلام العام الذي سببته الهيمنة الواسعة ل CNN والبرامج التلفزيونية التي كانت تظهر

فيها مختلف الشخصيات في مختلف القنوات وفي اي ساعة من ساعات الليل والنهار كنا ننام ونحن نشاهد (باتريك بوافر دافور) ونستيقظ ، ونحن نراه ايضا واستطعنا ولاول مرة في التاريخ اثناء هذه الحرب ان نرى الهيمنة التي لا حدود لها للتلفزيون ليس فقط فيما يتعلق بفبركة الرأي العام ولكن ايضا في خلق المشاعر لدى مشاهدي التلفزيون وهكذا فان القرية الكونية التي تحدث عنها ماكلوهان قد اصبحت واقعا لان نفس المصدر الاعلاني كان يبث نفس الاشياء في نفس الوقت ولكل سكان الارض ويولد عندهم نفس المشاعر ، ان القيام بتحليل المضامين بجو كهذا تصبح مسألة ثانوية مقارنة بأثر التلفزيون .

التلفزيون ذو الافق الضيق

من المناسب ان نشير هنا الى الفارق الجوهري بين هذه الحرب والحرب العالمية الثانية . ففي اثناء الحرب الثانية كان اقل من ١٠٪ من البيوت يمتلك جهاز راديو ، بينما يوجد اليوم ٣٥٪ من البيوت تمتلك جهازي تلفزيون بينما تمتلك البقية جهازا واحدا في الاقل . لقد لاحظنا اثناء هذا النزاع ايضا وجود عيب خفي حاول التلفزيون التغطية عليه بدعوة جيش من الخبراء للظهور على شاشته وبنشر انتقادات للصحفيين ، الا ان ذلك فشل لان الخبراء العسكريين الذين امتلأت بهم بلاتوات التلفزيون اخطأوا في احكامهم ولم يكونوا لا أحسن ولا اسوأ من الخبراء المدنيين ، وكانت نتيجة هذه اللعبة الخطرة هو ان الشك اصاب ليس فقط الخبير ولكن ايضا وسيلة الاعلام لذلك

ينبغي القبول بان علاقات الناس مع التلفزيون لم تخرج سالمة من هذه المرحلة المضطربة وان هذه العلاقة قد تغيرت بشكل عميق على مستويين على الاقل الاول هو ان مشاهد التلفزيون اصبح مقتنعا بان الصور التي تعرض عليه ليست صورا حقيقية والشيء الثاني هو ان الاخبار اصبحت تعرض وفقا لنفس النظم التي تعرض فيها الاعلانات . هذا التدهور المهول في القيمة الاسطورية التي كانت موجودة لحد الان بالنسبة للاخبار (والصحفيين) ينطبق على كل الشبكات وبالذات على اكبرها وهي TFI القناة الاولى . والغريب في الامر ان النقد اصبح يمارس من قبل اولئك الذين ليس لهم من وسيلة للاطلاع سوى التلفزيون وحتى وان ازداد عدد المتابعين لاخبار القناة الاولى فان عدد الناس الذين لا يحبونها هو في اتساع كذلك .

وفي الختام ان (اثر الخليج) قد خلق اعصارا اكتسح كل وسائل الاعلام التي كانت تحاول البحث عن الشرعية والتي كانت تدعمها في ذلك معاهد استطلاع الرأي بصورة متواضعة .

الاعـلام واخراجه

بقلم : كي بيلاشو

مسؤول ايكادوك ICADOC

لقد دخلنا في مرحلة مجتمع تتغير فيه طبيعة الاعلام ذاته وذلك بسبب الاهمية القصوى للتلفزيون والاستخدام المتزايد لمختلف فنون التسـويق التجـاري والاعلانـات وشبكـات التيليماتيـك ووسائل الاعلام الكتابية والسمعبصرية وهكذا اصبح اخـراج (العرض الاخباري) اكثر اهمية من المضمون الاعلامي نفسـه • ويلاحظ ذلك حتى في طريقة استعمال بعض الصحافة للصور اذ أن نجاح صحيفة يومية كالباريزين مثلا يتوقف على الصور والعناوين وهما عاملان قليلا التفاصيل اخباريا ولكن تعقد عليهما اهميـة كبرى وهكذا يعطى مكان ضيق جدا في هذه الصحيفة للمقاولات والتعليقات •

الاخراج يحل محل المضمون :

مما يمكن ملاحظته بسهولة ومنذ زمن طويل هو أنه في مجلات مثل « باري ــ ماتش » وفي الصحف اليومية وبنسبة اكبر فـي

نشرات الاخبار التلفزيونية ، تتفوق الصور واخراج الاعلام على مضمونــه • أصبـــح مقـدم الاخبــار يـــؤدي من الان فصاعـداً دوراً رئيسـا عـلى حســاب باقـي الصحفيـين •

يمكننا تأثير اربعة عوامل في سياق هذه العملية التي سحق خلالها الاعلام وفسخ واعيد تركيبه مثل أي ناتج كيماوي صرف :

- التلاعب الاعلامي : أي اخراج الاعلام كأنه مسرحية •
- انصاع الاعلام لوسائل نشره أي الشبكات تحكم السيطـرة عليه مثل شبكات NMPP (وهي هيئة تقوم بتوزيـع الصحف في فرنسا) وشبكات الراديو الوطنية ، وشبكات التلفزيون ووكالات الصحافة العالمية وشبكات الاقمـــار الصناعية ••• الخ • واغلبية هــذه الشبكــات تستخدم شاشات كشاشة التلفزيون لتحريف الواقع •
- تسويق الاعلام : أي أثر التكنولوجيا الضرورية لنقل الاعلام وتسويقه وكلفه استخدام الشركات التي تتعامل مع الاعلام ومعدلات الاصغاء ••• الخ •
- عسكرة الاعلام (أي اضفاء الطابع العسكري على الاعلام) • هذه العسكرة لا تقتصر على الظهـور الدائـم لشخصيات عسكرية على الشاشة وعلى وجود الرقابة حتى على نشـرة الانواء الجوية كما كان الحال خلال حرب الخليج • الادهى من ذلك أن الاعلام ، سواء كان يتعلق بالحالة الجوية أو بالاخبار العلمية والتقنية والاقتصادية والاجتماعية والمالية

بالاضافة الى ما تتناقله برقيات الوكالات ، ينزع الان الى أن يكون مصدرا اساسيا للمعلومات بالنسبة للشركات المتعددة الجنسية ولقوى المال الذين يخوضون حربا اقتصادية بلا رحمة على الصعيد الدولي •

لم يعد الاعلام الذي تم التلاعب به وتسويقه وعسكرته خلال هذه الحرب اعلاما ثقافيا او اعلاما جدليا ، بل اصبح اعلام استخبارات واقعا تحت سيطرة جهاز الاعلام والدعاية التابع للجيوش •

بنك للمعلومات فريد من نوعه

خلال السبعينات ، ظهرت اول ردة فعل لمقاومة الهيمنة المتنامية للتلفزيون على هيئة شعار « اشتروا الصحيفة وحطموا جهاز التلفزيون » • ولكن سرعان ما تبين بان هذا الشعار لم تكن له أي نتيجة عملية • أنطلاقا من هذه الحقيقة فكرنا بالطريقة التي تسمح لكل فرد بخوض تجربته الخاصة فيما يتعلق بدور وسائل الاعلام في المجتمع وذلك باستخدام (الكمبيوتر) ومعالجة الوثائق لفهرسة المعطيات المختلفة وعلى الاخص عناوين الصحافة •

هذه الافكار والتجربة كانت ثمرة عمل جماعي تم في اطار قسم التوثيق والذي كلفت بتأسيسه في سنة ١٩٧٠ ثم قمت بادارته حتى أذار ١٩٩١ وهو التاريخ الذي أنهيت فيه هذه التجربة في نفس الوقت الذي توقفت فيه نشاطات وكالة التيليماتيك والاخبار الوثائقية PCFDOC. الذي رشح عن فئته في عام ١٩٩٠ لاوسكار التيليماتيك) • Télématique. .

وهكذا وخلال عشرين سنة لم نقم فقط باعداد ملخصات عما نشر في الصحافة وانما بذلنا جهدا لتحليل مضامين وسائل الاعلام من ناحية التعارض بين الافكار وحاولنا تفكيك آلية الحملات الاعلامية .

العناوين تقولب الرأي العام

ان تأسيس الـ PCFDOC في عام ١٩٨٥ مكننا من تزويد الاشخاص الراغبين ، عن طريق المينيتل Minitel (احد بنوك المعلومات بعشرات الالوف من عناوين الصحف الوطنية التي قمنا بتصنيفها وبتحليلها وفهرستها يوميا . أذن يستطيع كل فرد أن يقوم بنفسه وبسهولة مذهلة بتحليل الاخراج الاعلامي .

درسنا العناوين ، لانها هي التي توجه الاعلام وتشكله الى حد لا يمكن اهماله . وهي بالتالي تكيف الرأي العام نفسه . السبب الاخير لفعالية العناوين ولاهميتها هو حقيقة انها يمكن أن تفهم من قبل عدد كبير من الاشخاص وخصوصا من قبل اولئك الذين هم اميون اي ما يشكل نسبة ٣٠٪ من السكان .

من يقرر اختيار عناوين « الصفحة الاولى » لوسائل الاعلام اي اختيار القضايا التي ستكون في قلب اهتمامات الناس ؟ انهم الاشخاص الذين يقفون على رأس شبكات الاعلام والنشر ورؤساء التحرير ومدراء الاعلام ومالكو قنوات التلفزيون . نفوذهم جدير بالاعتبار وكذلك اجماعهم على اختيار العناوين من بين الاحداث العديدة التي تهز العالم .

اذن ليس بالامر المفاجىء ان نكتشف لدى دراستنا العناوين بعض الثوابت : أربع أو خمس قضايا فقط تطرح في أحداث الساعة في الوقت الواحد وتعالج جميعها بالطريقة نفسها تترتب في مختلف وسائل الاعلام ، في الصحافة الوطنية كما في الصحافة الاقليمية وفي مختلف محطات الاذاعة وقنوات التلفزيون وفترة المعالجة الصحفية لهذه الاحداث لاتتجاوز الثمانية الى الخمسة عشر يوما عندما تعتبر الاحداث مهمة ويومين الى ثلاثة ايام عندما توصف الاحداث بالاهمية الضئيلة .

من السهولة بمكان أن تتأكد من دقة هذا التحليل اذا ما أحصينا ، في أي كشك بيع صحف ، عدد العناوين البارزة التي يفهمها الناس على طريقة « رأيت ، قرأت » ، أي طريقة تصور ساذج للاعلام تحل الرؤية منها محل القراءة . هذه العناوين الكبيرة والمبسطة التي يفترض ان تطلعك لوحدها على مسيرة العالم ، والتي تقرأها صباحا في عربة المترو من خلف كتف الراكب الذي يجاورك . لسنا بحاجة الى ان نعرف القراءة حقا لندرك المعنى .

عند تحليلنا لعناوين الصحافة المتعلقة بحرب الخليج ، لاحظنا وجودنا في « منطق الحرب » منذ ١٩٨٧ على الاقل . في حقيقة الامر أن تهيئة الرأي العام للحرب في هذه المنطقة لم يبدأ قبل ستة اشهر وانما قبل اربع سنوات على الاقل ،

التهديد الرهيب الذي يشكله العراق

خلال أزمة الخليج قمنا شهرا بعد شهر باعداد قوائم الموضوعات الاكثر ترددا في العناوين البارزة .

في شهر اب ١٩٩٠ ، خلال فترة الازمة الساخنة ، ٨٠٪ من عناوين الصحافة اليومية كانت تتعلق بهذا النزاع . اصبحت ٦٠٪ في شهر أيلول و ٢٥٪ في شهر تشرين الاول ، ٢٠٪ في شهر تشرين الثاني ، ٢٥٪ في شهر كانون الاول ، ٨٠٪ في كانون الثاني وفي شباط . على رأس هذه المواضيع يأتي الموضوع الذي يتعلق بالتهديدات الرهيبة التي يشكلها العراق أي كل ما يتعلق بالرهائن ، بالحرب المقدسة « الجهاد » ، بالحرب الكمياوية ... الخ . هذا الموضوع شكل ٢١٪ من العناوين المكرسة لازمة الخليج في شهري آب وأيلول ، ٤١٪ في شهر تشرين الاول ، ٢٢٪ في شهر تشرين الثاني ، ٢٧٪ في شهر كانون الاول ، ١٥٪ في شهر كانون الثاني . لم نجد بعد ذلك موضوعة ضرورة « سور الجيش الامريكي » امام كل هذه الاخطار التي ارتفعت نسبتها في العناوين من ١١٪ في آب الى ٢٠٪ في كانون الثاني وكذلك الامر فيما يتعلق بالموضوعات التي تخص (مبادرة ميتران) و (الجيش الفرنسي في خدمة القانون الدولي) والتي احتلت النسب نفسها .

نذكر من بين القضايا التي احتلت الصدارة في العناوين تلك التي تدعو المواطنين الى الوقوف وراء الغرب من اجل « انجاح الحصار » وتلك التي تفاخر بـ (ولادة نظام دولي جديد) والتي شكلت نسبة ٩٪ من العناوين في شهر اب و ٢٠٪ في شهر ايلول و ٢٥٪ في شهر تشرين الثاني و ٨٪ في شهر كانون الثاني ، شكلت العناوين التي تنقل « ردود الفعل والجدل في الدول العربية والاسلامية » نسبة تراوحت من ١٠٪ في آب وايلول الى ١١٪

في كانون الثاني وكان لقضيـة « سقـوط البورصة الذي سببته الازمة » تطور النسب نفسه • واحتلت مواضيع مثل « تقشـف متزايد » و « الاستعداد لقيود الميزانية » و « القوائم ستكون موجعة » نسبا تراوحت من ١٥٪ في اب وايلول الى ٢٪ في كانون الثاني وفي الفترة نفسها انخفضت نسبة العناوين المتعلقة بـ « الوفاق في فرنسا » وبـ « الوحدة الوطنية » بـ « ردود فعل اليمين » من ١٠٪ الى ٣٪ • وتأتي في اسفل قائمة المواضيـع المطروحة مـن قبـل الصحفيين تلك التي تتحدث عن الحركة السلمية والتي لم تشـكل سوى نسبة تتراوح من ١ الى ٨ من العناوين ومن ابرزها تلـك التي تتحدث عن ردود فعل الـ CGT • كانت وسائل الاعلام تطرح نشاط المعارضين للحرب مـن زاوية العنف الذي يتخلـل نهاية التظاهرات والتي كانت تشبه بالعصيان والتمرد كما هو الامر في حالة العمال في ميناء مارسيليا والذين كانوا يحاولون منع ارسال معدات عسكرية •

لو اتبعنا الاسلوب نفسه في الاذاعة والتلفزيون لحصلنا بلا شك على تنائج مماثلة •

فيما يتعلق بالاضرابات يلاحظ المرء ان صحفيي الصحافـة الكبرى يتطرقون اليها من وجهة نظر المستفيدين من خدمات القطاع الذي يجري الاضراب فيه وعندما يشكل الاضراب رهانا ومجازفة وطنية فقط •

---

* نقابة الاتحاد العام للعاملين في فرنسا .

في كل مرة يطالب بها العاملون تحسين مستوى معيشتهم ، تقلل وسائل الاعلام دوما من شأن اضرابهم كما هي الحال خلال اضراب عمال السكك وسائقي المترو واضراب العاملين في المستشفيات ... الخ .

لا تستمر العناوين الخاصة بهذه النزاعات طويلا ولا تعرض سوى احتجاج وتذمر الناس المستفيدين من القطاع المضرب والذين يشكون من كونهم قد اخذوا « رهائن من قبل القائمين بالاضراب » .

مثال اخر على معالجة العناوين للاحداث يتعلق بالجدال المثير الذي دار حول قضية لبس الحجاب في المدرسة . فخلال شهرين تطرقت الصحافة الى هذا الموضوع بطريقة موسعة وعلى صدر صفحاتها الاولى دون أن تطرح ولو لمرة واحدة خلال ذلك الجدال موضوعات مهمة اخرى مثل العلمانية والديمقراطية .

يبدو لي انه اذا كانت وسائل الاعلام قد فبركت هذه القضية كي تسد الطريق على لوبن Le Pen لما عالجت الموضوع بشكل اخر .

ساهم الناس الذي يقضون ما معدله ثلاث ساعات يوميا امام التلفزيون بتعزيز اثر هذه الوسيلة الاعلامية ولكني لست متأكدا من ان لهذا « الطرق » التلفزيوني تأثير ضار الى هذا الحد .

لاحظت خلال نقاشات مختلفة ان روح النقد لدى الشباب هي في زيادة فيما يتعلق بالتلفزيون . أظهرت بعض التجارب التي اجريت

على الذاكرة بان ما يبقى من برنامج تلفزيوني هو الافكار والعناصر الثقافية اكثر من الصورة تستثنى من ذلك الصور التي تصدم المشاهد وهي كثيرة ، علينا ان نعترف بذلك ، وهذا بحد ذاته سبب اضافي اخر لتفضيل ما يكتب •

تجنب التلاعب

بعد عشرين عاما من الملاحظات والتحليل لمضمون مختلف وسائل الاعلام توصلت الى نتيجة مفادها أنه لا يوجد هناك اختلاف بين هذه الوسائل من ناحية « تقديم » الخبر بعبارة اخرى، لاحظت وجود التلاعب نفسه في كل وسائل الاعلام • من أجل تجاوز التلاعب بالرأي العام والذي يزداد خطورة شيئا فشيئا علينا اولا أن نفكر بقضايا مثل الوصول الى الخبر ، التحقق من المصادر ، الوسائل للوصول الى تعددية المصادر والشبكات من وجهة نظر تتعلق بواجبات الصحفي الادبية في وسائل الاعلام ، فان للصحفيين كلمتهم التي يجب ان تقال ، من أجل ان يكسبوا الاحترام لانفسهم ولعملهم وذلك في كتاباتهم وتجنبهم ان يكونوا هم أنفسهم اداة للتلاعب •

وضع وسائل الاعلام تحت الوصاية

بقلم : ايفون مينيوه لوفيبفر
عالمة اجتماع في CNRS في جامعة باريس

لحرب الخليج فضيلة على الاقل الا وهـي كشفها لبعض الظواهر التي تثير القلق ، والتي تعيد الى الاذهان التطور الخارج عن السيطرة لمجتمعاتنا التي تزداد تعقيدا اكثر فاكثر • ومـن اجل دراسة موضوع فقدان وسائل الاعلام لاستقلاليتها المتأتية مـن أنشاء مراكز قوى متزايدة بينها من قبل الشركات الكبرى ، استندت بصفة رئيسة الى اعمال[1] بدأت في عام ١٩٨٥ ، والتي اصبحت مادة لعدة اصدارات • أقصد بصفة خاصة كتاب المجتمع التركيبي ، والذي كتبته مع (ميشيل لوفيفر) في ١٩٨٩ •

الاعـلان ضـد الاستقلالية

تساءلنا في فصل مـن هـذا الكتاب الـذي يحمل عنوان « المفقود » فيما لو كانت هناك وسيلة اعلام قادرة على تزويدنا بأخبار موضوعية في الوقت الذي يأتي القدر الاكبر من عوائدها من الاعلان •

---

(١) CNRS هو المركز الوطني للبحوث العلمية

وهذه مسألة وثيقة الصلة بالموضوع فحتى (جاك فوفيه) المدير السابق لصحيفة اللموند أعترف الى (جان ـ لوي سيرفان ـ شيربيه) خلال مقابلة تلفزيونية « ان هناك احيانا رقابة ذاتية في داخل هيئة التحرير عندما تقحم بعض الاخبار علاقات الصحيفة مع الاشخاص الذين يعلنون فيها وخصوصا اذا كانوا من المهمين أمثال شركة رينو • واشار ايضا الى ميدان العقارات المهم والذي يمكن ان نضيف دون تردد القطاع النووي وقطاع التبوغ والكحول والاسلحة والقائمة طويلة للاسف •

لا نبالغ اذا ما قلنا أنه منذ ان اصبحت وسائل الاعلام تحصل على مواردها المالية من الاعلان لم تتوان الشركات المعلنة من الضغط على هيئات التحرير •

من اجل مواجهة الثقل الذي يشكله الاعلان بدأت المجلات الاسبوعية سباقا محموما باتجاه المشتركين بها وذلك باعتمادها على عمليات التسويق القابلة للمناقشة والتي تؤكد اكثر المجانية الواضحة للاخبار التي تنشرها • ويحتمل ان يكون هذا الحل اكثر سوءا • في حقيقة الامر ان تنافس المجلات فيما بينها بتوزيع الاجهزة الالكترونية على المشتركين الجدد تضاعف بسبب الانخفاض المدمر لاسعار الاشتراكات ، الامر الذي قاد هيئة مراقبة البث والنشر (L'OJD) الى ان تستبعد عن احصائياتها ، البث بالاشتراك والذي يتمتع بتخفيض يتعدى نسبة ٥٠٪ • بلغت الحد الاعلى في هذا المجال الصحافة المجانية والتي يغطي الذين ينشرون اعلاناتهم فيها

كلفتها الكلية • ولكن ظاهرة اخرى تشهد منذ سنوات تصاعـدا عنيفا تجاوزت تأثير الاعلان • وهذه الظاهرة هي : السيطرة المالية على وسائل الاعلام من قبل الشركات التركيبية الكبرى •

شبكات النفوذ « وسلالات » الاعمال

تسيطر الشركات التركيبية على وسائل الاعلام الرئيسه وعلى وكالات الاعلان ، على غرار الشركة العامة للكهرباء التي تسيطر على مجموعة اكسبريس (ومن ضمنها مجلة الاكسبريس الاسبوعية التي تمتنع بطبيعة الامر عن التطرق الى الموضوع النووي) أو على غرار (بوييغ) احد كبار الاعمال الانشائية في العالـم والـذي اشترى TFI قناة التلفزيون الفرنسية الاولى • أية ثقة يمكننا أن نمنحها لاخبار بث من وسائل اعلام تسيطـر عليها مثـل هـذه المؤسسـات عنـدما تتعلـق القضيـة بـدول تنفـذ بها هـذه المؤسسات مشاريع هائلة في غالب الامر ، أو تتباحـث معهـا على اعـلى المستويـات من اجـل الحصـول على اسـواق مهمـة ؟

الشيء نفسه ينطبق على الشرق الاوسط ، وهي المنطقة التي تملك فيها اغلبية الشركات الفرنسية التركيبية مصالح كبيرة • في هذه الحالة ايضا ، يثقل العامل الاقتصادي كاهل هيئات التحرير الامر الذي يفسر كيف انه خلال كل السنين التي سبقت حـرب الخليج لم يع الجمهور ما يدور من نازعات تمزق هذه البلدان • كان يروق للصحفيين أن يتجنبوا وضع الاحداث التي تدور هناك في اطار شامل ، وان يتجنبوا وصف تعقيدها والتطرق الى العلاقات

القائمة بينها • ففضلوا ان يقدموها بشكل بسيط كأحداث تعقب الواحدة منها الاخرى •

ستراتيجيةالضمان

يعلق توجه المؤسسات التركيبية للسيطرة على كافة انظمة الاتصال بما نسميه « ستراتيجية الضمان » والمقصود ، ان تضمن المؤسسات بهذه الطريقة علاقة مباشرة مع المتلقي النهائي لانتاجهم فأذا كنت تنتج الكوكا كولا ، عليك أن تعمل بشكل يؤدي الى ان تسيطر على الاتصال بين هذا المنتوج والشخص الذي سيستهلكه • ومن الضروري ايضا ان تضمن وضع اليد على وسائل اعلام المستهلكين كي تستطيع ان تشكل بصورة مباشرة وبلا وسطاء أذواق الجمهور وخيارات شرائح كاملة من السكان • هذا الاستيلاء على جميع مستويات الاتصال يمر من خلال المشاركة في مؤسسات التوزيع الامر الذي يضمن لك حضور مبيعاتك بشكل صحيح •

وتنيجة المزج الذكي بين التسويق والاعلان والاعلام اصبحت مختلف تقنيات الاتصال تقدم اخبارا ووثائق تقلد الاخبار التي تبثها وسائل الاعلام التقليدية الامر الذي يؤدي الى اثارة الارباك والى دس التشويش في العقول • وهي بصفتها هذه تشكل خطرا كبيرا على الديمقراطية •

اذا ما كان دور التلفزيون حاسما في الرهانات التي يطرحها مجتمع نهاية القرن العشرين فمن الضروري أيضا ان تتبين الوضع في ميادين النشر والصحافة المكتوبة وهما دعامتان نوعيتان من الاعلام المعد •

في ٩٨٩ كانت دار نشر (هاشيت) ومجموعة (لاسبيتيه) تسيطر على ٥٠٪ من النشر في فرنسا • منذ ذلك الحين اصبح ناشرون اخرون تحت سيطرة هذين العملاقين •

ابتلعت مجموعة (لاسبيتيه) دار (لافون) ووصلت مساهمة (هافاس) الى حد كبير في رأسمال دار (غاليمار) واصبحت دار (بالون) تحت سيطرة مؤسسة مالية كبيرة ، (بيلفون) ـ احد كبار الناشرين المستقلين والذي كان ينشر كتبا نقدية نسبيا ـ تم شراؤه من قبل (لادريه دولا شاريير) وهو أحد رجال الاموال •

نستطيع ان نذكر بصدد لعبة اغتيال النشر هذه ونحن نفكر (ببيلفون) « دائرة الناشرين الذين غابوا » لاننا لم نجد فعلا ناشرين كبارا مستقلين في ساحة باريس • وهذه الحالة تنطبق على الصحافة المكتوبة • شهدت الدوريات والصحف اليومية دخول ممثلين عن الشركات الصناعية والمالية الكبرى في رؤوس اموالها وفي مجالسهم الادارية • مجلة «الاكسبريس» تعود الى ALACTEL (الكتيل) ويسيطر (ميشيل سيدو) على مجلة « لوبوان » • ودخل اخوه (جيروم سيدو) في مجلة « النوفيل أوبزرفاتور » وفي صحيفة (ليبراسيون) • شهدت مجلة « ليفينامنت دوجودي » وصول هاشيت في ١٩٩٠ • بينما قدمت صحيفة « اللوموند » رأسمالها الى (سويز) و (لوريال) و BSN .

نستطيع ان نذكر امثلة اخرى لظاهرة بدأت في بداية الثمانينات واتسعت خلال الخمس سنوات الاخيرة •

امام هذا التحشد الهائل في قطاع وسائل الاعلام والنشر ، يمكننا أن نستنتج ان مجموعة ضيقة من الافراد نجحت في السيطرة على جميع هذه الشبكات وهي تتصل فيما بينها لتتفق على ما يخص الصعيد الدولي ؟ نستطيع ان نؤكد ان التداخل المتزايد لهذه الانظمة وتعقيدها المتنامي يجعلها بمنأى عن معرفة أي كان وعن كل سلطة ديمقراطية .

تشكل هذه الشبكات ايضا شبكات نفوذ تربط فيما بين الشركات التركيبية وتشجع ظهور « سلالات » أعمال جديدة يكون اعضاؤها في مجاميع مغلقة جدا توحدهم روابط اقتصادية وفلسفية وروابط اخرى .

وكي تدير اعلامها الخاص تستخدم هذه المجموعات الصغيرة بشكل قليل جدا وسائل الاعلام الاخرى التي تسيطر عليها وتستخدم لهذا الغرض دوائر اتصال خاصة بها .

ان النظام الديمقراطي الفرنسي الذي بني على مبادىء افرزتها الثورات الانكليزية والامريكية والفرنسية على وجه الخصوص ، تكيف حسب تطور الانظمة الاقتصادية المختلفة التي استمرت حتى عهد ديغول . ولكن ومنذ عدة سنوات اتصف مجتمعنا بغياب القوى المضادة والذي يلاحظ الى درجة غياب الوسائل السياسية والقضائية والتشريعية التي يمكن ان توازن نفوذ الشركات المالية. لقد ضعفت المقاومة الى حد ان « الكوكتيل المسموم » الذي يخلط بين وسائل الاعلام والاعمال لم يعد يضايق احدا من المواطنين . لا أحد مستعد للدفاع وتنقصنا المخيلة الاجتماعية الضرورية للتفكير

في ايجاد سلطات كفيلة بالوقوف امام هذا المد • يلزمنا وعي عام بالنتائج المدمرة للقيود التي تفرضها مجموعات المصالح هذه كي نناضل من اجل فرض وسائل اعـلام مستقلـة يديرها محترفون ويساعدهم في ذلك ممثلون عن جمهور المستفيدين •

يتلخص الاجراء الاول في تحديد الاعلان في وسائل الاعلام وهو اجراء اساسي للحد من الانتشار الهائل للخبر الذي يخلو من روح النقد والذي يرضي فئة قليلة ذات امتيازات • ولكننا هل سنكون مستعدين من اجل هذا لدفع « استهلاكنـا الاعلامـي » بسعر السـوق ؟ أن ندفـع ١٥ فرنكاً مقابل نسخة من صحيفة اللومونـد ؟

من الناحية الاخرى الا يعني قبولنا ان ندفع مبلغا كهذا كي نحصل على اعلام مستقل يخلق تمايزا اقتصاديا على حساب الطبقات الاجتماعية المعدومة والمسحوقة ؟ الا يعني هذا اقامة حاجز مرفوض امام احدى المطالب الاساسية لوجود الديمقراطية الا وهي توصيل الاعلام الى الجميع وبأقل كلفة أن لم يكن مجانا ؟ الا يعني هـذا أيضا منح الاعلام أي النتاج الفكري الخصائص المتردية للبضاعة تماما مثل أي قطعة صابون أو علبة سمك سردين ؟

يتلخص الاجراء الثاني في جعل القوى التي تسيطر علـى الاعلام شفافة كي يتمكن المواطنون من اصـدار احكامهم علـى التوجهات التي تطرحها عليهم هذه الوسائل وذلك باعادة وضـع الاخبار في سياقاتها • نحن مازلنا بعيدين عن هذا بل على العكس

تماما فان القوى تتحذلق في اخفاء حضورها عـــن طريق تكوينها شبـكات معقدة في الشركات الكبيرة .

في مجتمعنا الذي يمر بأزمة يبدو ان المفهوم الذي قد يستحق أن تعاد الحيوية اليه من جديد والذي طالما تحدثنا عنه منذ وقت طويل يبدو انه قد فقد تماما ، نقصد بهذا المفهوم سيطرة العاملين في المؤسسات على هذه المؤسسات او سيطرة صحيفة ما (لم لا) أو محطة اذاعة او تلفزيون على تلك المؤسسات كان يسمى ذلك في زمن سابق بالادارة الذاتية .

وسائل الاعـلام والديمقراطية :

اندريه ميشيل

استاذة علم الاجتماع في CNRS

علاقات سيئة

أما يزال الحديث ممكنا عن هامش من الحرية في مجـــال الاعلام ، في الوقت الذي اصبحت فيه الضغوط التي تؤثر عليـــه متسلطة اكثر فأكثر ، ان لم نقل انها اصبحت شمولية ؟ من يمتلك وسائل الاعلام في الواقع ؟

في البداية ، يجب تحديد مصادر الاعلام : هناك ست وكالات صحفية عالمية مسيطر عليها ، اثنان منها اميركية ، واحدة انكليزية،

تطرقت (اندريه ميشيل) الى « المجمع الصناعي ـ العسكري والعنف ضد النساء » في كتابهما « قضايا انسانية جديدة » (شتاء ١٩٨٥) وتناولت فيه الامور العسكرية والعنف ضد النساء ، وكذلك نشرت مقالين بعنوان : « بحوث حول النساء والتنمية » و « المجمع الصناعي ـ العسكري ، حرب الخليج والديمقراطية في فرنسا » وذلك في دار (الانسان والمجتمع) ، ١٩٩١ ، العدوان ١ و ٢ . كما نشرت ايضا (الردع النووي في فرنسا والديمقراطية المحظورة) في سلسلة (قضايا نسائية جديدة) ، ١٩٩١ ، الاعداد ١٦ـ١٧ـ١٨ .

واحدة فرنسية ، واحدة صينية واخرى سوفيتية • في حين يملك العالم الثالث وكالة واحدة فقط ، وهذا ما يفسر بصورة جلية عدم التوازن بين الشمال والجنوب في هذا المجال من النشاط ايضا •

لوبي دعاة الحرب

لنهتم عن كثب بالعلاقات القائمة في فرنسا ، بين وسائل الاعلام و « المجمع الصناعي ــ العسكري » الذي يمثل تركيبة اجتماعية خاصة تشمل العسكريين من ذوي الرتب العالية والصناعيين من منتجي السلاح ، ليس ذلك فحسب ، اذ يضاف الى هؤلاء مجموعات اخرى منها الصغيرة ، ويمكن للمرء ان يميز من بينهم رجال السياسة الذين يلقبون بـ « الصقور » حيث خصوصية عملهم التي ترتكز على الترويج للحرب في داخل احزابهم ، وكبار الموظفين وعلى رأسهم وزراء الدفاع ، الاقتصاد ، الخ ، وكذلك اصحاب المصارف الذين يقدمون المال لصانعي السلاح او لهؤلاء الذين يشترونه ومدراء مختبرات البحث الذين يعملون من اجل العسكر •

هذا الاتحاد الاجتماعي المركب ، الذي يشكل مجموعة ضغط اخترقت جميع اجهزة المجتمع ، قد ضمن لنفسه السيطرة على أعلى السلطات في الدولة ، وبصورة خاصة على القرارات الحكومية التي تتعلق بستراتيجية الدفاع وخيارات مصادر الطاقة والسياسة الخارجية • ويخدم هذا الاتحاد ايضا المصالح الشخصية لهؤلاء الذين يؤلفونه ، حيث يضمن لهم جميع انواع المكاسب مثل الترقية

الى منصب اعلى والاعتمادات المذهلة من اجل تطوير هذا السلاح او ذاك .

لقد ادرك هذا اللوبي الذي يضم صناعيين من ذوي النفوذ وكبار موظفي السياسة في بلدنا « الديمقراطي » ، بانه من اجل حماية وتقوية سلطته كان لزاما عليه السيطرة على الرأي العام . وكذلك ادرك هذا اللوبي بانه لغرض الحصول على قبول عال من السكان لطروحاته فأن افضل ضمان بالنسبة له هو السيطرة على قنوات التلفزيون او امتلاكها . حيث ان الرسالة المتلفزة ، وقبل كل شيء ، بسيطة وفعالة ، ولها في الواقع أثر هام وغير محدود بالمقارنة مع الرسالة الاذاعية .

خرسانة وصواريخ

لم يكن مدهشا ، في ذلك الوقت ، في ان الصراع من اجل استرجاع قناة التلفزيون الاولى TFI ، عام ١٩٨٦ ، قد شمل اثنين من ابرز ممثلي هذا النشاط . بين (بويغ) المنتصر في المجابهة والشخصية الاولى عالميا في اعمال الانشاءات و (لاكاردير) الاخصائي الكبير في الصواريخ النووية وادوات القتل الاخرى ، مدير عام (الماترا) ، والذي يعتبر صاحب امبراطورية اعلامية تشمل اوربا ودار النشر (هاشيت) (٢٠٪ من مجموع اعمال الطبع في فرنسا و ٤٣ مجلة) ، من جهة اخرى . ومع ذلك فقد نجح هذا السيد ، مؤخرا ، في تحقيق حلمه في السيطرة على القناة الخامسة . ان رؤوس الاموال هذه التي يرصدها الصناعيون من

اجل ان تضمن لهم ملكية قنوات التلفزيون ، ينتج عنها فوائد جمة وذلك من خلال انتاج الاسلحة للجيش واقامة المراكز النووية هذه الفوائد مضمونة لسببين حيث ان هؤلاء الصناعيين يمكنهم المطالبة بأي سعر وباضافات مالية لا نهاية لها لشريكهم في رأس المال ، من جهة ، وكذلك بفضل وجود هيئة عامة la COFACE تضمن لهم سداد ديون التصدير من جهة اخرى . وفي الحالتين ، فأن هذه المبالغ تؤخذ من جيب ... المواطنين . أما الصناعيون الاخرون الذين ينتجون من اجل الاستهلاك العادي ومن اجل السوق « الحرة » ، فهم بوضوح خارج ميدان السباق . ويبدو انه من غير المفيد ، منذ ذلك الوقت، الامل في ان تكون هناك تعددية في قناة التلفزيون الاولى TFI او القناة الخامسة ، حيث ان (لاكاردير) يسيطر ومنذ عهد قريب على التلفزيون . وفي هاتين القناتين يتم الدفاع عن مصالح المجمع الصناعي ـ العسكري وترسيخ عقيدة الردع النووي وذلك دون ان يشعر (الاليزيه) بضرورة ممارسة ادنى ضغط مباشر على محرريها .

ويمكن ان تتحسب اكثر من الاستقلالية في القنوات العامة بما انها تتعلق بالدولة ، خصوصا وان ميتران وحتى عام ١٩٧٥ كان معارضا للتسليح النووي ، وذلك من خلال تصريحاته انذاك « ان السلاح النووي لا يضمن أمن فرنسا » ـ ألم يركز على كلفته الباهضة ؟

ومع ذلك ، ومن أجل الوصول الى قمة الترتيب ، فأن ميتران، كرجل سياسة عادي ، كان يجب عليه الرضوخ (لسلطة دون وجه)

وهو عنوان كتاب (لبيير ماريون) خصص لهذا الموضوع وهي ممثلة بالمجمع الصناعي ـ العسكري وهو النظام الذي يعمل به جميع اعضاء الحكومة بحصة كاملة ٠

حشو الادمغة

اذن لا شيء يثير الدهشة في ان التلفزيونات والاذاعات العامة قد فتحت هي ايضا مايكروفوناتها وشاشاتها في الدفاع عن الردع النووي وتجميله وفي الدفاع عن القيم الوطنية والعسكرية ٠

وفي اثناء الاشهر الاخيرة هذه ، رسخت وسائل الاعلام وبصورة طبيعية في الرأي العام الفرضيات الاولية والتي بفضلها كان بالامكان جعل الشعب شريكا في حرب الخليج ٠

ان التحكم بكبريات وسائل الاعلام لا يمارس بصورة مباشرة من قبل الاليزيه وانما عن طريق وزارة الدفاع وذلك بفضل جهاز اتصال ودعاية كفوء جدا ٠ ان (دائرة الاعلام والعلاقات العامة في الجيوش) والمعروفة بـ Sirpa ، هيئة قد تأسست قبل ٢٠ عاما ٠ فيها حوالي ٢٥٠ شخصا ، وتحت أوامرهم ، يمكن ان تكون هذه الهيئة فعالة لدرجة اثارة حسد دوائر العلاقات العامة في الشركات متعددة الجنسيات والمعدة افضل اعداد ٠

الجيش ، انه « لطيف »

على العكس من رجال السياسة ، فأن العسكريين لا يوارون نياتهم ولا أفعالهم وراء التلميحات ٠ ومن أجل معرفة أهداف اا

Sirpa (دائرة الاعلام والعلاقات العامة في الجيوش) ، يكفي تصفح وبسرعة مجلة وزارة الدفاع ، جيوش اليوم ، وخاصة عدد حزيران ١٩٨٨ وهو مخصص لموضوع « الدفاع والاتصال » ، حيث وصف فيه هذا الجهاز ومهمته وهي التحكم بالاعلام وذلك بفضل المراقبة المستمرة للعاملين في مجال الصحافة المكتوبة وفي التلفزيون وكذلك للمصورين . وتبدو في هذا العدد فلسفة الـ Sirpa اذا ما تجرأ احد على قول ذلك ، واضحة تماما ، وهي ترتكز على ترسيخ المجمع الصناعي ـ العسكري لدى الرأى العام وذلك عن طريق وسائل الاعلام . وفي حالة حرب الخليج ، على سبيل المثال ، كان الامر يتعلق باقرار مفهوم « الحق الدولي » ، وهو تصور لا غنى عنه لتبرير ارسال وتطوع قواتنا في الخليج .

وخلال عدة سنوات ، قامت الـ Sirpa بتدريب العديد من الصحفيين ومخرجي البرامج التلفزيونية الذائعي الصيت اليوم ، وذلك خلال فترة ادائهم الخدمة العسكرية ، حيث خلقت عندهم نوعا من الولاء الكامل للجيش . وخلال عودتهم للحياة المدنية ، قدمت لهم عقود لعمل افلام حيث تعطي سيناريوهاتها مع ذلك صورة ودية وايجابية عن الجيش دون الاشارة بوضوح الى القيم والتقاليد الحربية . وكذلك فقد اشترت الـ Sirpa مساحات من اجل بث برامج (اذاعية او تلفزيونية) تحمل توقيعها . لكن النتيجة لم تكن مشرفة بما يكفي ، لذلك اتجهت نحو الانتاج المشترك حيث يمكن ان نجد لائحة بذلك في عدد مجلة جيوش اليوم الذي ذكرناه

آنفا . وتضم اللائحة البرامج (اذاعية او تلفزيونية) الاكثر شعبية وقد اشتركت في انتاجها le Sirpa وذلك على القنوات العامة والخاصة .

من جهته حقق بنك الوثائق السمعية ـ البصرية (BDA) وهو أحد أقسام ال Sirpa ، اتصالا مباشرا ، عن طريق الفيديو، مع صحفيي جميع قنوات التلفزيون . وتعد هذه الدائرة بين زبائنها الاربع والعشرين المحررين الرئيسين في الصحف والتلفزيونات ووكالات الصحافة الوطنية والدولية . اضافة الى ذلك ، فأن ١٠٪ من اعتمادات ال Sirpa مخصصة لتحديد فعالية الاعمال الملتزمة. كما درست كل فئة من الشعب ونتائج مقاومته وبشكل خاص مقاومة الشباب والاشخاص المحرومين من الحظوة والنساء حيث تباكت ال Sirpa على فقدان الدافع ل « منطق الحرب » . وبتحديد كل فرد من الشعب ـ الهدف كغاية للوصول اليها مع اعلى قدر من الدقة واختيار وسيلة الاعلام الاكثر ملائمة واللغة الاكثر فعالية ، فأن ال Sirpa وضعت البداية لمجتمع من طراز الاخ الاكبر (big brother) .

ثغرة في القلعة

أنا متشككة جدا فيما يخص احتمال قلب هذه الالية المؤثرة اليوم . وفي الواقع ، لم يعد هناك على عموم المجموعات المتعاقبة شعور بالرهان على كبريات وسائل الاعلام من قبل سلطة سياسية ـ صناعية ـ عسكرية شبه أحتكارية على العكس مما جرى في

دول أوربا الشرقية ، حيث أتجه الرومانيون والليتوانيون والطلاب العرب في الحال نحو التلفزيون عندما أرادوا تغيير الامور • ويذكر ان مجموعاتنا المعارضة ، كلا من جانبه وفي مجاله الخاص ، هي دائما على قناعة بأنه في حالة طبع صحيفة صغيرة فأنه سيكون من الممكن تغيير المجتمع • هذا النشاط لا غنى عنه بالتأكيد ، كنشاط الاذاعات الحرة ، التي وفي هامش الحرية المأخوذة بالقوة تذيع معلومات مضادة تزعج السلطة دائما ، لكنها غير كافية تماما في خلق ثغرة منطقية في قلعة كبريات وسائل الاعلام • وتضم عبارة التناوب في طياتها شعوب العالم الثالث ، المتحزبين لحركة النهضة النسائية ، المناهضين للسلاح النووي ، علماء البيئة والمناهضين للرأسمالية ، الخ وجميع الذين يقاتلون من اجل مجتمع سلمي حيث تحل النزاعات من خلال المفاوضات وليس الحرب • ومن اجل ان ننجح في نسف الحديث الشمولي الذي لا يخدم المجتمع وقلب تأثير الكلام الذي يكون مرتكزا دائما على الاكاذيب والاساليب المكررة التي تعوزها الصفات الفردية المميزة ، ومن اجل عدم ذكر وحجب الحقائق التي تتعارض مع سياسة الدولة ، ومن اجل فرض تعددية الاراء ووجهات النظر ، فأنه يجب تنظيم الحديث بطريقة يكون ممكنا من خلالها أخذ الكلام واذاعته دون تصوير ، في وسائل الاعلام الرئيسية السمعية ــ البصرية وفي الوقت المناسب • وبكلمات اخرى ، فأن هذا قد حدث بدافع رغبة وضع ديمقراطية الاعلام موضع رهان سياسي واجتماعي رئيسي • ومن اجل عدم فهم هذا الرهان ، اقتصرت المفاوضات على اعمال جزئية وغير فعالة • أن تحقيق هذا الهدف يتطلب قبل كل شيء فهم ماهية

الشروط المطلوب تنفيذها حتى يصبح مجتمع ما ديمقراطيا فعلا • ويتعلق الامر بصورة خاصة بضرورة ادراك ان الديمقراطية لا تقتصر على الفعل الوحيد بين السلطات المختلفة التنفيذية ، التشريعية والقضائية ، مع ذلك فأن هذه الشروط لا تتحقق عندنا دائما على عكس ما نص عليه الحق الدستوري • هناك شرط جديد ، ضروري وملح هو ايضا ، يجب ان ينصب على اقناع عموم الهيئات الاجتماعية ، ويكمن في تحقيق الفصل التام بين السلطة التنفيذية وكبريات وسائل الاعلام •

ان المستمعين ومشاهدي التلفزيون والصحفيين والمجموعات المتعاقبة والذين يرغبون باحقاق الحق في اعلام حر ومتعدد ، واجب عليهم وبأستمرار تذكير العامة والحكام بالمادة ١٩ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان لسنة ١٩٤٨ والذي وقع من قبل فرنسا ، وجاء فيها « لكل شخص الحق في حرية الرأي وحرية التعبير بما يضمن له الحق في عدم تعرضه للاضطهاد وبسبب ارائه كما ان له حرية البحث عن المعلومات والافكار وتلقيها ونشرها دون اعتبار للحدود عن طريق وسائل التعبير على مختلف انواعها » •

احتلال ستوديوهات التلفزيون

يتوقف علينا تحديد الستراتيجيات التي سوف تسمح لنا بفرض هذا الحق ، أذ سيكون من الممكن تحديد النقاط في هذا الاتجاه وذلك من خلال المظاهرات الكبيرة المناهضة لحرب الخليج• وفي مثل هذه المناسبة ، كان من الواجب ان يحتشد العشرات من بين الالاف من المتظاهرين أمام ستوديوهات قنوات التلفزيون ،

اذ ان مثل هذه المناسبات تكون نادرة جدا ويكون من المؤسف تفويتها عندما تحدث ثانية •

القناة المنفلتة ، التلفزيون نمر من ورق
شجار منتجي افلام الفيديو

لقد افتتحت الندوة التي نظمتها هيئة (الوجه الاخر للاعلام) بعرض شريطين من اشرطة الفيديو • الشريط الاول اعدته (القناة المنفلتة Canal déchainé تحت عنوان « هل شاهدتم الحرب ؟ » والذي تمت منتجته بالاستناد الى الصحف التلفزيونية ومقابلات الصحفيين العديدة (راديو فرنسا الدولي RFI القناة ٢) والى المفكرين (الان هالفي ، مؤرخ من اصل فلسطيني ، انتوان سانكوينتي ، فليكس كوتاري • سيرج داني • ميشيل لوفويفر) والى صحفيي (راديو فرنسا الدولي RFI القناة ٢)وكذلك من المارة والمستوطنين الذين يمتازون بكثير من الواقعية • ان الاربعين دقيقة هذه من الصور في ال VHS ، هي نتيجة عمل جماعي يهدف الى تحدي الطرق المتكرر والمنتظم على التلفزيونات من قبل نفس العناصر المرئية والمعروفة بحبها للحرب • وهناك تمرين عملي لتفكيك القواعد التلفزيونية الخاصة بالرقابة وذلك بالاعتماد على حالة ملموسة ، هي حرب الخليج • وقد اذيع هذا الشريط الفيديوي عدة مرات في الاحياء ، الضواحي والجمعيات مما أثار ردود افعال ايجابية ساعدت على تنمية التفكير بمحصلة

الحرب وذلك في المجالات ذات الاهمية الحاسمة الا وهو استخدام التلفزيون كأداة للسيطرة على الطبقات الشعبية •

اما الشريط الفيديوي الثاني المعنون « Hell no ! we won't go بحق الشيطان كلا ، نحن لن نذهب ! » والذي استغرق ٥٢ دقيقة فقد انتجته وبثته القناة ٤ وذلك بالاعتماد على بعض أشرطة الفيديو التي أديرت من قبل مجموعتين من الاميركان العاملين في مجال الفيديو ، حيث اظهر أن التلفزيون انما هو نمر من ورق وانه مخصص للصحون الفضائية فحسب •

لقد بث هذا الشريط في جميع اراضي الولايات المتحدة عن طريق القمر الصناعي وعرضت هذه الصور على الشعب الامر الذي ادى الى ظهور الحركات التي تعبر عن الاراء النقدية والمناهضة لحرب الخليج • ويشير ذلك الى وجود مناهضين للحرب وكذا الحال بالنسبة لتعليقات المختصين حول اسباب ونتائج الحرب وقدم المصالح الاميركية في منطقة الخليج •

---

* كنال دشنه ، شارع ايلوارد ، ٩٣١٠٠ موتفوي . ت : ٤٨٥١٩٩٠٠ .